إن نفسي ليس ترضى: أيُّ نفسٍ تقبل العيش كسكان القبور؟

سيِّد قطب

1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية



سيد قطب

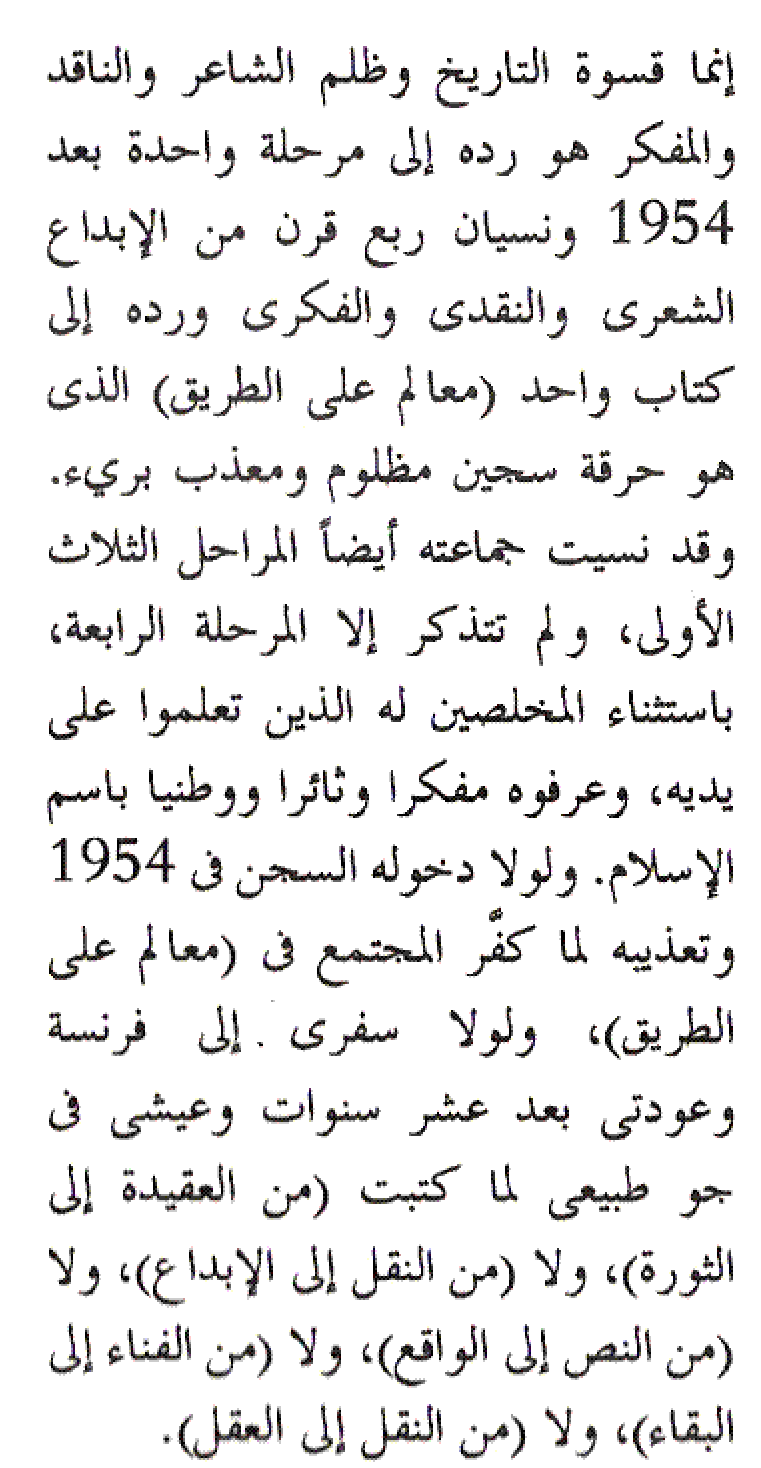
1906 - 1966

الأعمال الشعرية الكاملة

تقديم د. حسن حنفي



2008 الدراية لا الرواية

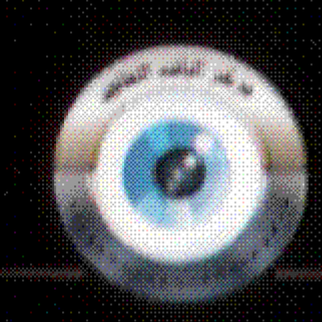


إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي



﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس –بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

– رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

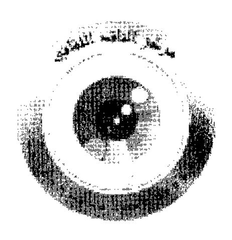
تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)

Correspondent bank :	**COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
Beneficiary bank :	(MARKAZ AL NAKED/BBSF)
SWIFT : BBSFSYDA	**(0125719/BBSF)**
Name of the final beneficiary :	
Account number of the final beneficiary :	

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank :	
SWIFT : BSFRSARI	**BANQUE SAUDI FRANSI**
Beneficiary bank :	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
SWIFT;BBSFSYDA	(MARKAZ AL NAKED/BSF):
Name of the final beneficiary	**(0125719/BSF)**



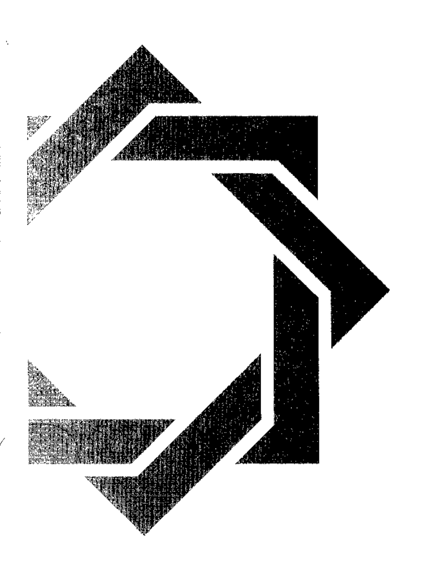
الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي



الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥ - ١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥ - ١٩٥٠) في (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠ - ١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية ١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين ١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤ - ١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء ١٧/٨١][1].

1- حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧ - ٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٢[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤

كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبيئة نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ – له فى عام ١٩٣٤ – ٤١ – قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

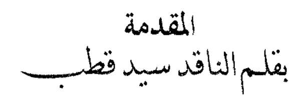
فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافي– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبي، والمفكر الحر[1].

[1]– ما أرى هذه المرحلة إلا نتيحة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتُون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة


بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وراقبتُ خوالجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكنا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راض عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيَا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بسَمْتِها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[3].

١– خوالجه: خواطره ونزعاته.
٢– السَّمْتُ: الطريقة
٣– السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[١] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثِّلهما غذاءً، يُقَوِّي من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعتَه؛ إلا إذا قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[٢] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأتِ عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلْهِمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دوَن شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[١] واستغراق، وتجردٍ، وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه   حقائق جلّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[٢]   فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية — عند الشاعر — هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً).

وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ - البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ - الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبهُ الموتَ سكرةً   ومن حوله موتٌ نَمتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ   فهاتيك أشلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرِض   لما لقيتُهُ الأرضُ في الجَولانِ

وإنك طلسَمُ الحياةِ جميعِها   وصورتُها الصغْرى بكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِتْره   فيختِمُ سفرَ النّاسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطِلّسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسكّانِ القبور   في ربيعِ العمر؛ في العهد النَّضِرْ

آهِ لو أَسطِيعُ للماضي الحسيرِ   رجعةً، من بعد ما جاء وَمرّ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْياَ الشَّبابُ   نابضاً بالحبّ؛ جياشَ الأماني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب!   مُسْتعِزاً فيه حتّى بالثَّواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل   أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ   فَهْو أضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليومَ آسفُ للدَّقائقِ تنطوي   من عمريَ الغالي الثّمينِ الطَّيب

واليوَم أرقبُها وأرقبُ خَطْوَها   فأعيشها مثلين بعد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم
٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغناءٌ عن الخلودِ غرامٌ هو رمزٌ ووَصْلةٌ للبقاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثَارَةٌ تنسابُ في خَلَدٍ وفي أوْهامي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيتُ ما أعيا المقاديرَ إنّما وجدتُكَ رمزاً للأماني الصّوادفِ

فأنت عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنت امتدادي في الحياةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا منَ الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــك في الطُّفولــةِ غافلاً   عمّا حويْتَ من الوجود السّــــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري   رمــزاً أُحيــطَ بغمْــرةِ الإبهــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْــتُ في هذا الخَرابِ   وأنــا أسْــألُ: مــا شَــأني هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادتها؛ ولم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

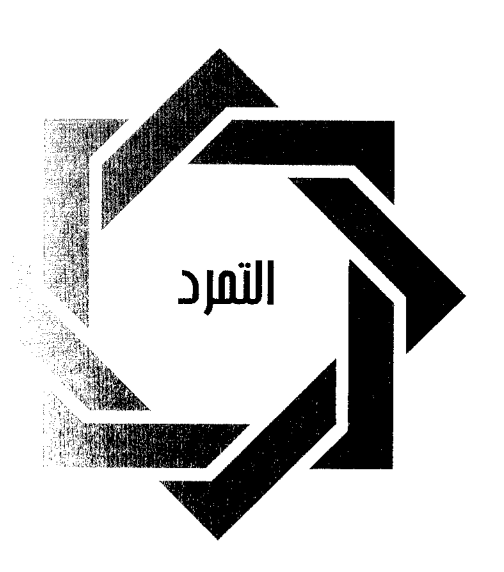
ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.



إنّ نفسي ليس ترضى : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيـــني أنْــتِ يــا نَفْسِــي فما   أفهــمُ العَالَــم أو يَفْهَمُنِـــي
إنــني أنكرَتُــه اليــومَ كمــا   أنــه بالأمــسِ قَــدْ أَنْكَرَنِـــي
لم أجــدْ في الكــون إلا أَلَمــا   إنمــا الوَحْــدَةُ أصلُ الشَّــجَنِ

* * *

وَحْــدَةُ الأرواحِ أَنْكَــى الوَحَدَاتِ   وَحدةُ الأجسام تُنْسَــى وتَهوُنْ[1]
أيُّ بُؤْســي تســتحثُّ الذكرياتِ   كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات))   وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّــكُونْ[2]

* * *

لم أجــدْ قلبــاً إذا ارتعــتُ خَفَق   خفقة الحُــبِّ بوحْيً صــادِقِ[3]
وإذا شــذّ فــؤادٌ فَصَــدَق   أتبــعَ الحُــبَّ بِغَــدْرٍ مَاحِــقِ[4]
وفــؤادي يَتنُــزى[5] في حَــرَقٍ   وَاجِفــاً مِنْ كلِّ حَــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَــدْ سَــمَتْ رُوحِي إليه   وعبــدتُ الطُّهْــرَ فيــه والجَمَالْ
ووقفــتُ النفــسَ والفكــرَ عليه   والأمــانيَّ وأطيــافَ الخَيــالْ
ورأى مِــني أســيراً في يَدَيــه   فتولّــى لاهِيــاً عــني ومَــالْ

* * *

لم أجِدْ في الكونِ ما أنْشُدُه   مَثَلاً أعْلى فأرْوي ظَمَئي

وإذا صوّرتُ ما أقصدُه   بُهِتَ الناسُ لهذا النَّبأ

وتولّى بعضُهم يَنْقُدُه   جاهداً والبعضُ يَروِي خَطَئِي

* **

وتقاليدٌ وأسْرَى يَعْبُدُون   هذه الأصنامَ مُغْلُولي الفكَرْ

وإذا ثرْتُ عليها يَسْخَطُون   ويقولون تَمادَى وكَفَرْ!

وَيْحَهم ماذا تَراهم يبْتَغُونَ؟   أتُرى نحيا شُخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكرتُ الحُبَّ قُدْسِياً نَقِيا   حسَبُوه من خَيالِ الشُّعَراءْ

إنني أُدْرِكهُ رُوحاً خَفِيا   يَهْبِطُ الأرضَ ومَأواه السَّمَاءْ

وهم يَبْغُونَه إثماً فَريا   يُرْتَدَى في أثْوابِ البغاءْ!

* * *

أتُرى أحيا بُروحٍ لا تَحِس   وفؤادٍ ليس يَدْرِى مَا الشُّعورْ؟

أكتمُ الأنفاسَ إن جَالتْ بحسٍّ   ثُمّ أبْقَى صخرةً بين الصُّخُورْ؟

إنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ   تقبلُ العيشَ كسُكّانِ القُبُورْ؟

حدثيني أنتِ يا نفسُ إذَن   واتركي العَالَمَ في الكَوْنِ يَمُوجْ

واعشَقي كلَّ جمالٍ يُفْتَتَنُ   واضحِ الطَّلعةِ بَسَّامٍ بَهيجْ

وخُذي مَا شِئتِه من كلِّ فَنٍّ   ودَعي مَنْ هَاجَ في الأرضِ يَهيج!

* * *

حَلِّقي يا نفسُ في كلِّ فَضَاءْ   واهبِطي بيَنَ الأقاحي والزُّهُورْ

واسْمَعي ما شئتِ مِنْ عَذْبِ الغنَاءْ   حينما تَهْتِفُ باللّحْنِ الطُّيورْ

إنما الكونُ ومَنْ فيه هَبَاءْ   بعدمَا يَرْضَى عن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثي يا نفسُ إني لَسميعْ   إنْ لَها الناسُ ولم يَسْتَمعُوا[1]

وَصِفي إحساسَكِ السّامِي البديعْ   ودَعِيهم حيثُ هُمْ قَدْ وَدَّعُوا

وإذا الألفاظُ أعيتْ، فالدموعْ   فإذا جَفَّتْ، فخفْقٌ يُسْمَعُ

* * *

أقفرَ العَالمُ من كلِّ سَميرْ   يُبْعِدُ الوَحْشَةَ عَنّي غيرَ نَفْسي

فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شعورٍ   ولتكنْ إلْفي ومَنْ أرجُو لأُنْسي

وَحْدَةٌ فيها هُدوءٌ وسرورْ   ومناجاةٌ، فيا نَفْسي لتَأسّي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب حائر!*

أحياةٌ أمْ نارُ الجحيم بِلظَاهَا   الهائج المُسْتَعِرْ؟[1]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم   من حَياتي فَوقَ مَا في سَقَرْ!

* * *

آه. لا شَكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ   لا أريدُ الضعفَ. كلا. لا أريدْ
سوفَ لا يظهرُ مني مَاكَمُنْ   فليشدَّ الخَطْبُ إنّي لَشديدْ[2]

* * *

ولمن أشكوُ إذا شئتُ الشَّكَاه؟   ولمن أسطيعُ إيضاحَ شُعورِي؟
أينَ مَن ينظرُ منّي مَا أراه   في شعوري، غيرَ نَفسي وضَميرِي؟!

* * *

أُغْرُبي عَني بعيداً يا حَيَاتي   قد كَرِهتُ العيشَ في جَوٍّ قَذِرْ!
أُغْرُبي محفوفةً باللعنات   آبعُدي عن سَاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![3]

* * *

لا فِراراً من جهادٍ كالجَبَانِ   لا. فما كنتُ جَبَانَا أَحذَرْ!
إنما أنْتِ سبيلٌ للهوان   لستُ أرْضَاه ونَفسِيَ تَشْعُرْ

* * *

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م
١- المستعر: المتوقد، المشتعل
٢- كَمُنَ: اختفى
٣- الجهم : عابس الوجه ، ضجر ضاق وتبرم

أأنَاسيًّا أرى أم حَشَراتْ   شَوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ   بينما أَنْفُسُهم رِجْسٌ يَسيِلْ!

* * *

حَقَروا الكونَ وأغراضَ الحياةْ   حَسبُوها دَنَساً في دَنَس
وصَغَاراً ليس يَرْضَاه إلهْ   وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَبَسْ![1]

* * *

إنَّهم لَم يَعرِفُوا معنى الجمال   إنّهم قد جَهِلُوا سِرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهم طيفُ الكمال   لائحاً يهفُو، تولَّوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُوا العيشَ طَعاماً وشرَاباً   ورَواحاً حيثُ شَاؤوا وغُدُوَّا
أنفسٌ كالكهفِ ما زالت خَرَاباً   من شعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّموّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْرٍ بديعْ   وشعورٍ يَغْمُرُ النفسَ بَراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَافِلَ الشأنِ وَضيعْ   وهو أسمى ما استطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَـــرُوا العِفَّـــةَ والحِـــسَّ البَراءْ   حَقَـــرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُـــومْ

حَقرُوا الإخلاصَ محْضــاً والوفَاءْ   ورَأَوْا في النفـــس مَحْيَاهـــا الذَّميمْ

* * *

أئـــذا مـــا أخلـــصَ الـــودَّ فُؤادْ   لفـــؤادٍ مُخْلِـــصٍ، فَائتلَفَـــا

لم يكـــنْ ذلـــك إلا لِفَســـاد   يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّـــرَفَا؟(٣)

* * *

لا. فمـــا أقْفَـــرَ هاتيـــك النفوسْ   لا. فمـــا أجْمَـــدَ ذياك الشُّـــعُورْ

إنَّ وَجْـــه الكـــونِ مُغْبَـــرٌّ عَبُوسْ   بِهمُـــو. فَلْيَغْرُبُـــوا عنـــه يُنِـــيرْ!

* * *

١- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهـــبْ وخلِّفـــني هنـــا متألمـــاً لا تلقـــني سمحـــاً ولا مُتجهِّمـــا

اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتي   ويَبُـــضُّ قلبي مـــن قرارتِـــه دَما(١)

اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطفي   يومـــاً ولـــن ألقـــاكَ إلا أبْكَمَـــا

أرخصتَ حُبِّـــي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه   فَلْيَبْـــقَ مَكْبُوحـــاً إذَنْ فَتكَتَّمَـــا

إن كانَ بَـــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما   فكذاك عِنْدي سَـــوف يغدُو مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ   والعيـــشُ بَعْدَكَ صَـــار صُلْباً عَلْقَما

سَـــأنامُ مهموماً وأصْحُو حائراً   وأهيـــمُ في وَادي الأسَـــى مُتألِّمَـــا

ويُخيم البـــؤسُ المُمِضُّ فلا أرى   إلا شَـــقَاءً في الحيـــاة مُخَيِّمَـــا(٢)

لكن سَـــأكتمُ ما تُكِـــنُّ جَوانحي   وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا(٣)

* * *

واويلتَـــاه لقد أهنْـــتُ عَواطفي   وحســـبتُها عبثـــاً يُمَـــجُّ مُذَمَّمَا(٤)

وأراكَ تَـــأبى أن أكـــونَ مُتابِعاً   لـــك في الغُدوِّ وفي الـــرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، ينزّ.

٢- الممض: المؤلم من أمضَّه الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يُمجّ: يُلفظ

لك مَا تَشَاء، فما أطيقُ تَبَذُّلاً   مني ولستُ أطيقُ منك تَبَرُّمَا
لك ما تَشَاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُو عَطْفَه مُسْتَرْحِمَا
وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكي   ألَمِي وأبْدُو صَابِراً مُتَبَسِّمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدِين وكانَ لي   أملٌ حَطَمْتُ قِوامَه فَتَحطَّمَا
أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش   شَ الحبُّ فينا طَاهِراً ومُكَرَّمَا
أمَّا وقَد أرْخَصْتَهُ وأهنْتَهُ   ورَأيتهُ إثماً لديكَ مُحَرَّمَا
فليذهَبِ الأمَلُ الذي أمَّلْتُه   حِينا وعِشْتُ بظلِّه مُتَنَعِّمَا
سَأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أموتَ بِه شهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيدِ فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستَبِقْ للصِّرَاعاتِ مِنْ جَدِيدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّباه ثم تَهْوى إلى السُّفُوحْ
شَارداً تَقْطَعُ الحيَاه في التَّعِلاَّتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفجأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجأُ الرَّجَاءْ
لُعْبَهْ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرةٌ أنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الرَّمَادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجمُوحْ
تَعْشَقُ الأَيْنَ والحَرَقْ والعَقَابِيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢
١- الآبِق: الهارب، الشرود: المطارِد
٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.
٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْتَ ترنُو إلى المُحَالْ عَاشِقاً بُعْدَه السَّحيقْ

فإذا شَارفَ المَنَالْ خلْتَه مِنْ لُقَي الطَّريقْ[٢]

* * *

ضِقْتَ بالقيدِ مِنْ ذَهَبْ ضِقْتَ بالأمْنِ والقَرَارْ

فَانْطَلِقْ ثم لا تَثِبْ عِشْتْ للخوفِ والعِثَارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق

٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بي مُستَطِلعاً حُلْمي القَدِيمْ

فَتطَلّعْتُ إليه في وُجُومْ

قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خجلاَ

قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![١]

قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهديَ ذاكْ؟

منذُ كمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ

قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى

قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرّتْ خُطَاكْ

شَدَّ يا حُلْميَ ما قَدْ حَالَ حِسّي؟

شَدَّ يا حُلْميَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!

أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟

قال: ما تُبْصِرُ عَيني غيرَ رَمْسَ[٢]!

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم: الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

ومَضَى عَنّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضِي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ

والأفقُ مخضوبُ الأديمِ، وقد تَأذَّنَ بالرَّواحْ[1]

أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟

وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!

لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنا غِضَابْ[2]

لم تَصْفُ كَأْسُ حياتنا يوماً ولا لذَّ الشرابْ

والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالهتَانِ لاَهفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]

وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلّعَ في قُنوتٍ٤ للسَّماءْ[4]

* نشرت عام ١٩٤٧م

١- الأديم: بياض النهار.

٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)

٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامي الظّماءْ؟!
صَمْتُ الخريف يَلُفُّنِي وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنّي
ما عَادَ يُوقِظُني نِداؤكِ خِلْسَةً من بعد وَهْنِ
ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنّي؟
فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاكَ مِنّي!

* * *

هَذي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]
الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ
شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تِشعْر بِهذا أو بذاكْ
تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة
٢- دَرَاكِ: متتابعة



لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ
والماءُ لا يصفو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْني ولا تَنْفُـسْ عَليّ مَواهِبي   خُذْهَا وخُـذْ ألمي بها وَمَتاعِبي[١]

دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنعَّماً   بمواهـب مَلَكَـتْ علـيَّ مَذَاهِبي

أنـتَ الخَلُّي فخلّنـي وعَواطِفي   آلمـَت وُجْدَاني فَلَسْـتَ بِصَاحِبي

دَعْني أعيشُ كما يَشاء ليَ الأسَى   لا كنتَ مِثْلـي. لادَهَتـك نَوائبي

إني شَـقِيٌّ لو علمـتَ دَخَائلي   فَدَعِ المظاهِرَ لا تَرُعْـكَ جَوانِبي[٢]

* * *

الشِّـعرُ من نِعَمِ الحيـاةِ عَرَفْتُه   وعَرَفْتُ فيـه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[٣]

الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ   ألمـاً وَوَجْـداً في حنـينٍ ذاهِبِ[٤]

مَا ضَرَّ قوماً لا تُـذَابُ قلوبُهم   شـعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبِـي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَـعُ بالحيـاةِ وتَرْتَضِي   منهـا مَحَاسِـنَ شُـوِّهَتْ بِمثالبِ

والشـاعِرُون تَؤزُّهـم أدْرَانُها   يَبْغُونَهـا لم تمتـزجْ بِشَـوائبِ[١]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد

حِـسٌّ أرقُّ مـن الأثـيرِ يُهيجُه   ما قـدْ تمرُّ عليـه مَـرَّ اللاعبِ[٣]

وهي الحيـاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـعورُه   ألم وأن يُكَثِّـفَ° فَلـذةَ رَاغـبِ[٣]

* * *

مَنْ لـي إذَا جَنَّ الظـلامُ بَهْدأة   كالهادئـينَ وَمَـنْ يُطَمْئـنُ جَانِبي

أنـا في الطبيعةِ مُغرمٌ بمشـاهدٍ   تُلهِـي فؤادي عـن أعـزِّ رَغَائِبي

الليلُ يُشْـجيني برائِـع صَحْوِهِ   وكواكـبٌ يَغْرُبْن إثـرَ كَواكبِ[٤]

والبـدرُ يُوحي لِي بسـرِّ طوافه   مُسْتَوْحِشـاً لم يأتنـسْ بمُصَاحِبِ

والحُسْـنُ يَدْعُـوني إليـه فأنثني   ويَصُدُّنـي عنـه بِصَفْقَـةِ خَائِبِ

* * *

البائِسُـون إذا سَـمِعْتُ أنينَهم   أحسسـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبي

والبَاسِـمُون إذَا شهدتُ ثغورَهم   هَاجتْ حَنيـني للصَّفـاءِ الذَّاهبِ

والبعـدُ يُؤذيـني ورُبَّ مفارقٍ   لَـمْ يُـؤْذِه يَومـاً تَنائـي غَائِبِ

وكَرَامـةٍ لو مُسَّ منهـا جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشـي عندَهـا ومَطالِبي

بَلَغَ الحِفاظُ بِها القداسـةَ والتُّقَى   وحَـذَارِ وَهْـمٍ خَاطِـئٍ أو صَائِبِ

* * *

١– تؤزهم: تزلزلهم.، أدراڤا: أوساخها

٢– الأثير: المراد النسيم

٣–يُكثِّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤– الصحو: الهدوء والصفاء.

٥– سمتها: أذقتها

يَاليتَ لِي نَفسـاً إذا مـا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشَـدتْ بتجَارِبي[٥]

لكنَّها نفـسٌ سَـمَتْ فَتَألَّمتْ   والمـاءُ لا يصفُـو الحياةَ لشـاربِ

دَعْنِـي أعيـشُ مُعذَّبـاً متألماً   بمواهبِـي يـا شِـقْوتي بموَاهِـبي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ   أنّها ألعابُ دَهْرٍ سَاخرِ
مَاهرٍ يَهْزَأُ بالمُسْتهزئينَ   يبعثُ النُّكْتَة عفوَ الخاطرِ![1]

* * *

وسَواءٌ أضحكتْ سُمّارَه   أم دَهَتْهمُ بالرزَايا والمِحن
فهو يُلقِي أبداً أدوارَه   وهو لا يُسألُ عن ماذَا ومَن؟

* * *

يسمعُ الأنّاتِ تشتقُّ القلوبَ   صارخاتٍ كشجيّاتِ النُّواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ   وهو يَلْقاها بِهُزءٍ ومِزَاحِ!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩
١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.
٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ   فلقدْ أعيانِي البحثُ الكثيرْ!
مخلِصِ الطَّبْعِ له قلبٌ رَقيقْ   خالصُ الإحساسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداً
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1]   نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ   ويَرى الغدرَ بِإعجابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
سكرةٌ عَجْلى ومِنْ ثَمَّ أفيقْ   فإذا بي ألْمَسُ الغدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْلاصُ خَلّابٌ بريقْ   مِنْ سَرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ[3]

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.
١- صفيق: قبيح.
٢- همت: تعلقت.
٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهــذا الكــونُ إنْ كنــتَ تُجيبُ!
أيُّ عيــش في حِمي الغــدرِ يَطيبُ؟
ثم مــاذا تَبتغِــي تلــكَ القلــوبْ
غيرَ إحســاسٍ من العطــفِ رقيقْ   يَغْمُــرُ الأرياحَ فَيّــاحَ العَبيرْ[1]
فــإذَا العيــشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ   وإذا الكــونُ رِضــاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هــذا العطــفَ رَمْــزٌ للخُلودِ
وغِذَاءُ الــرُّوحِ في هــذا الوجُودِ
كلُّ ما فِــي الكونِ لــولاه زهيدْ
ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ   والنعيمُ العَزَبُ مَسْــلُوبُ النعيمْ[2]
وأرى الإنســانَ بالعطــفِ خليقْ   في جحيمِ العيــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر
٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بــينَ أطيــافِ الرجــاءِ
عن صديقي ذلــك الطُّهْــرِ البَراءِ
لــن أملَّ البحــثَ لو طَــالَ العَناءْ
ليس هذا اليــأسُ باليــأسِ الحقيقْ   فهو لن يُخْبي في نفســي السَّعيرْ
حِــيرةٌ تائهــةٌ مــا إنْ تُفيــقْ   وهي الوحدةُ أو عَيــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يــا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنــا قلبٌ مــن الوحــدِة مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]
وهو لا ينــوي عِتاباً لصديقْ   حينمــا يُخطــئُ أخْطَــاءَ الغَريرْ[2]
فبحســبي قلبُه الســمحُ الرقيقْ   في فَيــافي العيــشِ إلْفــاً لــي سَميرْ

* * *

١- خَضَلٌ: غضٌ طري
٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفرتْ شَيئاً فَشيئاً كاليباب   غيرَ آثارٍ من النَبْتِ الهَشيمْ[1]

باقياتٍ ريثمَا يَسْفَى التراب   فإذا الكونُ خَلاءٌ في وُجُومْ[2]

* * *

كان ينمُو هاهُنا النَّورُ صغيرْ   فوقَ نبتٍ لَيّنِ العودِ هَزيلْ

فَذَوِي النَّوْر، وما كانَ نَضيرْ   إنّما المُعْدَمُ يَرضَى بالقليلْ!

* * *

زهرةٌ في إثْرِ أُخرى تُحتَضَره   وهْو يرنُو ذاهلاً للزّهْرَاتْ

مُلْقَياتٍ حولَه بينَ الحُفَرْ   والرِّياحُ الهُوجُ تَدوِي مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكونُ حوالَيهِ خَرابْ   مُوحِشُ الأرجاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]

وهو يرنو في وُجومٍ واكتئابْ   يكتمُ العَبْرَةَ فيه والأنينْ

* * *

ويُدوِّي حولَه صَمتُ الفَناءْ   حيثُ تُمْحَى كلُّ آثارِ الوجُودْ

أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرَّجاءْ   طَمَسَ اليأسُ عليها والكُنُودْ[4]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١– الهشيم: اليابس من كلّ شيء

٢– يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.

٣– القطين: المقيم.

٤– الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بكَرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ   ومَشى الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ

صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو   رُ بها، وما تشدُو الجداوُل بالخريرْ

وسَرَى القَفارُ بكلِّ مُخصِبَةٍ فَما   تجدُ الخصيبَ بها؛ وما تجدُ النضيرْ

والسُّحبُ طافيةُ تُغشّي كالسُّتور   وتسيرُ وانيةَ الخُطا سيرَ الأسيرْ

فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقَها الأسي   وإذا القلوبُ بها كَليمٌ أو كَسيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبِّ من هذا البكور   غامت عليه سحابةُ اليأسِ المريرْ

وذوتْ بجنتهِ أفانينُ المُنى   وخَبا بهيكلِ حُسنه القبسُ المنيرْ

وسَها عن التقديس والتسبيحِ في   محرابِه العُبّادُ مَسْحُورو الدهورْ

ومَشَوا بساحته كما يمشي الخليُّ   من الغرامِ فلا حنينَ ولا شُعورْ

هانتْ شَعائرهُ ومَسَّ ستورهَ   في جُرْأةٍ، غيرُ المقدسِ والطَّهورْ

* * *

الأرضُ غيرُ الأرضِ في دورانِها   لتكادُ مِنْ فَرْطِ السّآمةِ لا تدُورْ

والريحُ غيرُ الريحِ في جَولانِها   لتكادُ تكتمُ في جَوانِحها الزفيرْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١– يَغضّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غــيرُ الطــيرِ في ألحانها   لتكادُ تَنْعَبُ بالخــرابِ وبالثبور[2]

والنــاسُ غيرُ النــاسِ في آمالِها   ليكادُ يجثُــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريــفُ فويلَه هذا البكورَ   ودنَا المصيرُ فويلَه هــذا المصيرْ![3]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أئني أنــا؟ أم ذاك رمــزٌ لغابرٍ؟   لأَنْكَرْتُ مِن نفسي أخصَّ شعائري!

لأَنْكَرْتُ إحساسي وأنكرتُ منْزَعي   وأنكرتُ آمالي، وشَتَّى خَواطِري[1]

وأنكرتُ شِعْرِي وهو نفسي بريئةٌ   مُمَحَّصَــةٌ مــن كلِّ خِلــطٍ مُخامِرِ

وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعري   عهــودٌ وآبــادٌ طِــوالُ الدياجِــرِ

وأحســبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها   يخيّــلُ لِــي: أنْ لم تمــرَّ بخاطِــري!

* * *

أنَقِّبُ عــن ماضيَّ بين ســرائري   فألْمحُه كالوهمِ؛ أو طيفِ عابرِ[2]

أعيــشُ بــلا مــاضٍ كأنِّــيَ نَبتَةٌ   على السطحِ تطفُو في مهبِّ الأعاصِرِ!

ومــا غابــرُ الإنســانِ إلا جُذورُه   فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِــذْرٍ مُؤازِرِ؟

وقد يتعــزَّى المرءُ عن فقــدِ قابلٍ   فكيفَ عزاءُ المــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِــي التي قد فقدتُها   بنفسِــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!

واطلبُها في الــروضِ إذ كان هَمُّها   تَأمُّلَــهُ يُفْضِــي بتلــك الأزاهرِ

وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا   تيقَّــظَ فيهــا كل غافٍ وســادرِ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أُنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى   وتُوميءُ لـلأرواحِ إيماءَ ســاحرِ

وفي الفجرِ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى   يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]

وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً   ومَهْبِـطَ آمـالٍ ومَطْمَـحَ ثائرِ

وفي النَّكْبـةِ النَّكْبـاءِ والغبطةِ التي   تجودُ بهـا الأقدارُ جُـودَ المُحاذِرِ!

ولكنّـني أيئسـتُ أن ألتقـي بها   وتاهتْ بـوادٍ غامرِ التيـه غائرِ

سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه   يـدانِ، ولا يَجْلُوه ضـوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجى: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

ياليتَ شِـعْري، مـا يُخبِّئُه غَدي؟   إني أروُحُ مـع الظنونِ وأغْتدي[1]

وأُجيــلُ باصرتــي بها وبَصيرَتي   أبغي الهُـدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حـتى إذا لاحَ اليقـينُ خِلاَلهـا   أشـفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشـحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه   وطرحـتُ عني حَيْـرَتي وتَردُّدي

فكأنــني المـلاّحُ تـاهَ سـفينةً   ويخافُ من شـطّ مريـبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَـيُولَدُ يومَ تُولَـدُ يا غدي؟   إنّـي أُحسُّ بهـولِ هـذا المولدِ!

سَـيصرِّخُ الشـكُّ الدفينُ بمُهْجَتي   فأبيتُ فاقدَ خـيرَ ما ملكتْ يدي

سـتروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ   تُضفـي علـى بعطفهـا المُتودد

سـتَجِفُّ أزهـارٌ يفـوحُ عبيرُها   حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النَّدي[3]

والمِشْـعَلِ الهادي سـيخبُو ضوؤه   ويلفُّـني الليـلُ البهيـمُ بمفردي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصِّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يومَ تذهبُ ياغَدي ؟ لاشيءَ بَعد الفَقْدِ للمتفقدِ

«سَتُخلّفُ الأيامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبارَ الفدفدِ»[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أسف على ماضٍ يضيعُ كأنّه لَم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَدّدُ ماانطوى حتى التألمِ لا يعودُ بِمَشْهَدِي!

رَبَّاه إني قدْ سئمت تردُّدِي فالآنِ ،فَلْتَقدُمْ بِهولكِ ياغَدِي

* * *

[١] – صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريب..! *

غريبٌ . أجل أنا في غُرْبةٍ وإن حَفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ

غريبٌ بنفسِي وما تنطوي عليه حَنايا فؤادِي الحنُونْ

غريبٌ وإنْ كَانَ لَمَّا يزلْ ببعضِ القلوبِ لِقلبي حنينْ

ولكنّها داخلتْها الظنونُ وجَاورَ فيها الشُّكُوكَ اليقينْ

غريبٌ فَوَاحاجتي للمُعين وواهفَ نفسي للمُخلصينْ

* * *

أكادُ أُشارفُ قفرَ الحياةِ فأُشْفِقُ من هولهِ المرعبِ

هنالك حيثُ رُكامُ الفَناءِ يَلُوحُ كمقبرة الغيهبِ[١]

هنالك حيثُ يموتُ الرّجاءُ وتثوي الأماني كالمُتْعَبِ

فأرْجعُ كالجازعِ المُستطار أُرجّي أمانيَّ في المَهْرَبِ[٢]

ولكنه مُقْفِرٌ أو يكادُ فيا للغرِيبِ، ولم يَغْرُبِ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.

٢- المستطار: الفزع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمسِ مَرّ يومْ!
نبأٌ يَأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ
* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسألُ الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!
* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبانِ في دقيقهْ؟ (1)
* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذِبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحِرْ؟
* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!
* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكم فلا هي تُفَرِّقْ (2)
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلاَ أو تُحققْ! (3)
* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو (4)

* نشرت عام ١٩٣٤
١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم
٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.
٣- مَرَّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.
٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثّلاثين نَصّي! الرِّكابَ حَثيثةً ياليَالِ (1)
مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبابِ فلستُ آسٍ لِغَالِ
مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنى والخيالِ
وضَاعَ في غَمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ
فأسرعي ياليَالِ
عَلامَ مَنْ بَعْده تُمْهلينْ؟ وأيّ غيبٍ تَهابْ؟
وما احتفالٌ بِمرِّ السّنين؟ من بعدِ مَرِّ الشَّبابْ؟
وما الذي ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرِّغَابْ
يكونُ - وَاحَسْرتَاه - السكونُ عَلى ضِفافِ اليَبابْ؟ (2)
يكونُ - كالقيدِ - عَقلُ رزينْ! يعطُو لشطِّ الصّوابْ! (3)
فيَ السُوءِ المآبْ (4)

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.
١- نَصي : اظهري من نُص ينصُّ: رفع وأظهر، عَن وحدد.
٢- الرّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.
الحثيثة: السريعة الجادة.
٣- يَعطو: يطلّع.
٤- المآب: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شَرُّ العُنَاه[1]
يَزُودُنا عن مراقي الخُلُودِ وخيرِ ما في الحَياهْ
والطيشُ رمزُ الشَّبابِ المُريدِ يَسمُو بِنا عَن مداهْ
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجودِ بِفتْنَةٍ وانْتِبَاهْ
فلا نُبالي بِصَرْفِ الجُدودِ ولا نَخافُ الغَداه[2]
فكلُّ يومٍ حَياهْ

يُضاعِفُ اليومَ منّي المُصابُ إنْ لَم أعِشْ بالخيالِ
قَضَيتُ – واحسرتاهُ – الشّبابَ كالكهلِ في كلِّ حَالِ
يجيشُ بالنفسِ سَيْلُ الرِّغابِ فلا يُمَسّي اعتدالي
وَوُجْهَتي في الحياةِ الصَّوابُ ونظرتي للمآل![3]
عصيتُ أمْرَ الحياةِ المُجابُ فكان رُشْدي ضَلالي!
فأسْرِعي ياليالِ

* * *

١ – العُنَّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.
٢– بصرف: من صرَف الدهر: نوائبه وحدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخخطها الحظ لنا.
٣– المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزّمنِ الوثّابِ بعضَ التّوثُّبِ إلى أيـنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرّينَ كالأوهامِ لا أسْتبِينُها وتَمضِينَ عَنّي مَوْكِباً إثْر مَوْكبِ
وإنّي كالمخمُورِ قد غابَ وَعْيُه وكالشَّبحِ الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَبِ[1]
تشابهت الأبعادُ عندي فما أرى أمامي فَرقاً بين ناءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويا رُبَّما أنسُ أموراً قَريبةً وأوغل في الماضي البعيد المُنَكّبِ[3]

* * *

خُطَا الزّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّبِ طَويت حَياتي بينَ صبحٍ ومَغْربِ
قفي لحظةً؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذي ضَمْمتِ ثَناياه على كلِّ مُعْجبِ
وأسْترْجِعُ الماضي رُويداً وَهينَةً أداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبّي[4]
وأسْمَعُ أوهامَ الفتى وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذي أبَحْتُ له من مُهْجَتي كلَّ مَشْرَبِ
وغَذّيتُه نَفْسي، وقَدْ بِعْتُ دُونَه حَواضرَ أيامي ومَاضِي المُجَرَّبِ

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧
١– الهَيمان: من هَام يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.
٢– ناء : بعيد. مكثب: قريب.
٣– المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.
٤– هينة: بطيئاً.

قفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي   ونَفَّــرتِ آمالي وعَمَّيْــتِ مَآرَبي[1]

* * *

تَمرَّين يــا أيــام قَفْــراءَ؟ أمْ أنا   خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَــبُ أنْ لَن تُعْــربي بِمقالةٍ   إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْربِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُــدُ السُّــلْوَانَ من حُبٍّ عَقيم   وتــرومُ الْبُــرءَ مــن دَاءٍ قــديم

ها هُو السُّــلوانُ فانْظُــرْ: أتَرى   شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟[1]

شَــاه في خاطرِك الكــونُ وماتْ   وتَخَلَّتْ عنــك أحْلى الذِّكْرَياتْ[2]

وبَــدَا العُمْــرُ حَزينــاً عَاطِــلاً   كامِدَ السَّــحْنَة مَجفُوَّ السِّــمَاتْ

قَدْ مَضَــى الحُلْمُ، فحقّق في العَيانْ   هل تَرى إلاّ خــواءً في الزّمَانْ؟[3]

وتَهاويلُ الــرُّؤى... يــا ويَحها!   غالها الصَّحْوُ فماتــتْ مُنْذُ كَانْ![4]

نَــمْ قَريرَ العــينِ إنْ كنــتَ تَنامْ   لَفَّكَ الصمــتُ وغَشَّــاكَ الظّلامْ

يَأمَــنُ الدُّنيَــا ويَخْلُــو للكَرى   مُعْــدَم الكفينِ مَفْقُــودَ الحُطَامْ![5]

قَدْ خَلا الهيكلُ مــن وَحْي الصنَّمْ   وغَدا معبــودُكَ الأسْــنَى حُطَمْ[6]

أتُطيــقُ الآن تَحيــا مُلْحِــدَا   أم تُــرى تَخلُــو لشــيطانِ النَّدَمْ

ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ   أتُــرى الأمْــنَ هُنا بــين اليبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيها المنكوبُ في أحْلى المُنَى الحياةُ الحبُّ والحُبُّ العَذابْ!

ضِقْتَ بالقيدِ! فها أنتَ طلَيقْ! ما يُباليكَ إذن حَادي الرّقيقْ!

فَهُو يُخْلِي في الفيافي كلَّ مَنْ لا يُساوي ثَمَنَ القيدِ الوَثيقْ![1]

عُمْرُك الفَارِغُ كالثِّقْلِ زَهيدْ ليس فيه مِنْ طَريفٍ أو تَليدْ[2]

وهي الأيامُ تَقْضِي مِثْلَما تَنْقَضي أيامُ مَأجُورٍ شَريدْ

أينَ أحْلامُكَ بالعُشِّ الجميلْ؟ أينَ آمَالُك في الظِّلِّ الظَّليلْ؟

قَدْ مَضَى الحُلْمُ ووَلّى مُوهِنَا فاركَنْ الآن إلى الصَّحوِ الطَّويْل!

تَمّض يا منكودُ ما كنتَ تَرومْ ومَشَى السُّلوانُ في الحبِّ القديمْ

نَمْ قريرَ العَينِ واهنَأ بالكَرى الكَرى المَيّت في القلبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كانَ ، والمؤلمُ في (كانَ) الفَناءُ !

حيثُ لا رُجعى ولا طيفُ أمَلْ

عهد الصغر *

إذا الليــل جَــنَّ تجيــشُ الفِكَــر   ويُــؤرِّقُ جَفْنِــي مَــرُّ الذِّكَرْ[1]
ويخلُــو فــؤادِي لأحلامِــه   فيجعــلُ منهــا حديثَ السَّــمَرْ
وتَخْلُــدُ رُوحــي إلى الذكريات   فَتَسْــري تِبَاعــاً سِــراعاً تَمُــرْ
فآنــاً تُــؤزُّ وآنــاً تَلَــذُّ   وآنــاً تَسُــوءُ وآنــاً تَسُــرْ[2]
هُــدوءٌ طويــلٌ وصمــتٌ رهيبٌ   وفي النَّفْسِ أشــجانُها تَشْــتَجِرْ
إذا مــا ذَكَــرْتُ زمانــاً تَقَضَّــى   بديــعَ الرُّسُــومِ جميــلَ الأثــرْ
تــراءى لِنَفْسِــي عهــدُ الصِّغَــرِ   فتشــتاقُ نَفْسِــي لعهــدِ الصِّغَرْ
لعهــدِ الرِّضَــاء وعهــدِ الحُبورِ   وعهــدِ الصَّفَــاء القليــلِ الكَدَرْ
أنــامُ وأصْحــو علــى ما أشــاءُ   طَــروبَ الفــؤادِ قريــرَ النَظَرْ
وتصحُــو الغزالــةُ مِــن خِدْرِها   فتزهُو الــورودُ ويحيــا الزَّهَرْ[3]
وتبــدو الرِيــاضُ ريــاضُ القُرى   بوشــيٍ جميــلٍ ووجــهٍ نَضِــرْ
ويَسْــجَعُ فيهــا الحمــامُ طروباً   وتشــدُو البلابلُ فوقَ الشــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨
١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.
٢- تؤز: تزلزل بشدة.
٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعى الله عهداً جميلاً تولّى   وخَلّفَني للأسى ثُمَّ مَرْ
وأسْلَمني لِصعاب الأمورِ   وكيدِ الصُّروفِ وطولِ السَّهرْ

* * *

ألا يَا رَعى الله عهدَ الصِّغَرِ   ألا يا لحا الله عهدَ الكِبَرْ[1]
فذلك عهدٌ صبَوحٌ أغَرْ   وهذا عبوسٌ ظَلومٌ قَتِر

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثاني بما مَضَى حَدِّثَاني   وأعيدَا إليَّ عَهْدَ الأماني
واذكُرُا لي زمانَ عشتُ طَروباً   لا أُبالي بحادثاتِ الزمانِ
وصِفَا لي ليالياً قد تَقَضَّتْ   كنتُ فيها كالحالِمِ الوَسْنَانِ
صَوِّرَا لي الرياضَ والزهرَ والوردَ   ولحنَ الطيورِ عَذْبَ الأغاني
وأعيدَا لمَسْمَعي ذكرياتٍ   لا تَصَدَّى لها يَدُ النِّسيانِ
واسمحَا لي بزفرةٍ وحَنينٍ   ليس لي سَلوة سِوى التحنانِ[1]
واغفرا لي دُموعَ عيني فإني   لأرى الدمعَ فوقَ كل بيانِ
إنَّه النَّفْسُ رُقِّقَتْ ثم سَالتْ   أو هو القلبُ ذَائباً من حنانِ
وأقلُّ الوفاءِ للعهدِ ذِكْرى   هي خيرٌ من حاضرِ الأزمانِ
وقليلُ عند التذكُّرِ شوقٌ   ودُموعٌ تُكنُّ أسْمى المعاني
إنّ ذِكْرى القديم للنَّفْسِ تُؤسِي   وتُهيِّجُ الشُّجونَ للوجدانِ
وهُو والله بعضُ أجزاءِ نَفْسِي   باعدتْ بينها يَدُ الحَدَثَانِ[2]
فاذكُرَا لِي القديم همساً ورفقاً   ودَعَاني أجيشُ لا تعذِلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يا دياراً نشأتُ فيها صبيًّا   وصَحِبتُ الشبابَ في العُنفُوانِ

لكِ مني تحيةٌ وسلامٌ   أنتِ دارُ النعيمِ والرِّضْوانِ

فيكِ يا دارُ من صِباي رسومٌ   زاهياتُ النقوشِ والألوانِ

هي عندي أعزُّ من كلِّ شيءٍ   وهي تبقى وكلُّ ما عَزَّ فَانِ

فيكِ يا دارُ من هَواي رَسيسٌ   وألَدُّ الهوى هوى الشُّبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحياةِ في ذلكَ الحينِ   وفيه القُطوفُ شتى دَوانِ

وهو وحي من جانب الله يُوحي   وهو سرُّ الإلهِ في الإنسانِ

ما أرى العيشَ غيرَ حبٍّ بريءٍ   من ذميمِ الأهواءِ والأدْرانِ

رُبَّ يومٍ قضيتُه في حُبورٍ   بين جمعٍ من صفوةِ الخِلّانِ

دونَه الدهرُ والحياةُ جميعاً   في رِضاءٍ ومتعةٍ وامتنانِ

* * *

إن تلك الحياةَ شيءٌ عجيبٌ   وهي النَّفْسُ كلَّ يومٍ بشَانِ

كيف كان الربيعُ ثوباً بهيجاً   وهو اليومَ نَاصِلُ الألوانِ؟[2]

ها هو الروضُ والوردُ والزهرُ   وهذا الحَمَامُ من فوق بانِ

لا أرى الوردَ غير جذرٍ وساقٍ   أو أُحِسُّ الغناءَ عذباً شَجاني

١- رسيس من رسَّ يُرسُّ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنما النَّفْسُ حين تصفُو تَراها   خلعتْ صَفْوها على الأكوانِ

وهي النَّفْسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو   كلُّ نورٍ أمامها كالدُّخانِ

لو تساوى الإحساس في كلِّ آنٍ   تتساوى الأشياء في كلِّ آنِ

عَمَّرك الله ما المحاسِنُ إلا   صورةُ النَّفْسِ في بديع افتنانِ

وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ   في خيالٍ فحُققت للعيانِ

فرعى الله عهدَ أُنس أراني   صورةَ الكَونِ في جمالِ الحِسانِ

وَرَعى الله خيرةً ورفاقاً   ورَعَى الله أربعاً ومَغاني[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَـبَحُ الماضي وما الماضي سوى   بعضِ نَفْســي قَــد تــولاّه العَدَمْ
يَتــراءى كُلَّمــا شَــطَّ النَّــوى   فــإذا الذكــرى شُــجُونٌ وألمْ
وإذَا الكَامنُ في نَفْسِيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرِماً
كالجحيمْ

كُلّمـا أقْبَـلَ يـومٌ ومَضَـى   أوْغَـلَ الماضي بمجهول سَـحيقْ
ذاهبـاً عـني كـبرق أوْمضَـا   ثم دَوَّى بعـدَه الصمـتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحتَه صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ

آه لو ملكـتُ تصريـفَ الزَّمْن   كيفمَـا أهـوى وأنّـي أرْغَـبُ
لرجعـتُ الدَّهْرَ للماضـي إذَنْ   فـإذا بي حيـثُ كُنّـا نَلْعَـبُ
ورفاقٌ لِيّنُو العودِ صغارٌ
ليسَ تدري الألَمَا
والهُمُومْ

زَهَـرَاتٌ نَضِـرَاتٌ باسمـاتٌ   تلمـح الغبطـة فيهـا والرضاء
مَرِحَـاتٌ مَشْـرِقاتٌ لاهيـاتٌ   لا تَـرى في الكونِ إلا ما تَشَـاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَسـاقى الـودّ مِنْ غـيرِ انْتباه   فـإذا العيشُ سـرورٌ وفَـرَح[1]
وإذا الكـونُ ومـا فيـه حَيَـاه   تتبـدَّى في نشـاطٍ ومَـرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعيمْ

أينَ منّـي ذلك العهدُ الوَسِـيمُ   أيـنَ منّـي بعـضُ أيـامِ الصِّغرْ
إنّها مَـرَّتْ كما يهفُو النسـيمُ   فيُحَيـي ويُحييـه الزّهَـرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]

أيُّها الماضـي رُويـداً في خُطَاكَ   فعـلامَ اليـومَ تَمْضي مُسْـرعاً
إيـه مَهْلاً حَسْـبُنَا طـولُ نَواكَ   وبِحَسْـبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنا أرثيك يا عَهْدَ المُنَى؟ أأنا أرْثيكَ يا عهدَ الوَفَاءِ؟

أنْتَ يَا عَهْدُ أأرْثِيكَ أنَا؟ لا. فَلَنْ أقْوى على هذَا الرّثَاءِ!

* * *

لا. ولَنْ يَجرى على الطّرْس قلمٌ لا. ولَنْ تُعْلِنَ هَذَا كَلِمَاتٌ[1]

أرِثَاءٌ؟ أغَدَا الماضِي عَدَمٌ؟ أو هل يَغْدُو رَهيناً بِفَواتْ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سوُءٍ يَنْفُثُ الهمَّ بنفسي والقَلَقْ؟

أمضَى عهدٌ هو العمرُ الهنيءُ؟ أو حقٌّ ذاك ياربُّ أحقْ؟

* * *

أوَ عهدٌ هو رَيَّا مُهْجَتَين وهُو سَارٍ في الحَنَايَا والشّعَاب[2]

يَنْطَوِى كما لبرقٍ في غَمْضَةِ عين ثم يبدُو لا ئحاً مثْل السَّرَابْ؟

* * *

أوَ يغدو ذلك العهدُ الوسيمُ حُطَاماً تَلْهُو به أيدِى الفَنَاءْ؟

زَهْرةٌ في الكُمِ تَلْقَاهَا هَشيمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِقاء[3]

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.

١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه

٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.

٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَا مَثْواكَ يا عهدُ. هُنا؟ أهُنا يا عهد أقْصَى خُطَواتكْ؟

وإذَا أدْعُوك يا عهدَ المُنَى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْتُ يا عهد يديَّ حسرةً قاتلةً أو لَهْفَا

أتُرى تَرنُو بإشفاق إليّ أم تَرُدَّ الطّرْفَ عَنّى صَدْفَا؟[1]

* * *

ولو أني اسطعتُ يا(عهدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ سنينْ

فبأي القولِ أسطيعُ الوَفَاءْ وبأيّ الدمعِ تُذْريه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جزءٌ من فؤادِى قَدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟

أو غَنَاءُ الدّمْعِ في ماضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّى مِنْ تلادْ؟[2]

* * *

آه يا عهدُ وما آلَمَ آهُ وهي ذَوْبُ النفسِ لا رَجْعُ أنِينْ

أُغربي عَنّي بعيداً يا حَياهْ لا يطيقُ العيشَ منكوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.

٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُـزَّ حـتى لَتُوقِيـه العيـونُ   وتَفْديـه الأَمَـاني والقُلـوبْ
وتَسـامَى عَـنْ مَنـالاتِ الظُّنونِ   وبَـدَا كالخُلْدِ مَأمـونَ المَغِيبْ
لا تَراه النفسُ إلاَّ بَاقِيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقِيَا
طاهرَ الأردَان عَفًّا سَامِيَا[1]
كالرجاءِ العَذْبِ في الذّهن الخصيبِ   زَاخِراً مَـا إنْ يُرائي أو يَخيبْ
هُـو عَهـدٌ صِيغَ مِـن حُـبٍّ نَقيِّ   وسُـمُو فوقَ إحْسـاسِ البَشَرْ
وَوِقَـاءٌ سـابغُ الغيـضِ نَـدِيُّ   وحَنـانٌ مِثـلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويق النَّقَاءْ[3]
وتَجلَّـى الغيـبُ عَنْـه فَسـفَرَ   في جـلالٍ وجمـالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ. والمُؤلْـمُ في (كَانَ) الفَنـاءُ!   حيثُ لا رُجْعَـي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَـاه بَغْتَـةً سَـهْمُ القَضَـاءِ   فَتَراخَـى في انحـلالٍ واضْمَحلْ

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.
٢- الغيض: القليل.
٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حينٍ خَاليَا
من رُوَاءٍ كان فيه حَاليَا[1]
مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاويَا
غـاضَ مِنــه كلُّ أُنْـسٍ وارتَحلْ   مِثْلَما يَخْلُـو من الأهلِ الطَّلَلْ[2]
أيُّهـا العهـدُ الـذي مَـرّ. ودَاعاً   هــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ
ســوفَ تَبْقى أبـدَ الدّهْرِ شُـعاعاً   في ضمـيري يَتَـراءى في الظُّلَمْ
سوف أبْكيك بُكاءَ الثّاكِلِ
وأروّيكَ بدَمْعي الهاطِلِ
وأُناجيكَ بِقَلْبِي الذّابلِ
طَالَمـا أحْيَـا فَأمَّـا يَنْصَـرْم   ذَلـكَ العمـرُ تولاّنـا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً
٢- الطلل: بقايا الدور



ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقاكَ الظامي

السعادة حديث الأشقياء *

إيـــه حَـــدِّثْ عـــن السَّـــعادةِ إني ‌ ‌ قد مللتُ الشَّـــقَاء كلَّ الشَّـــقاءِ

أطلـــعِ الصبُّـــحَ في حَديثِـــك يجلو ‌ ‌ بعضَ هذا الأســـى بفيضِ الضيَّاءِ

يا أخـــي ضَاقَ بالحـــوادثِ ذَرْعي ‌ ‌ وسَـــئِمتُ الشَّـــكاةَ مِنْ بَأسائِي

ومَللـــتُ الحديـــثَ فيهـــا فحدِّثْ ‌ ‌ أنتَ يـــا صَاحِبي حديـــثَ الهَناءِ

إنَّ بعـــَض الحديثِ يُدنِـــي الأماني ‌ ‌ بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعـــثُ الطَّـــرْفَ في الفَضـــاءِ مَليَّا ‌ ‌ فأرى الأفـــقَ ضيقـــاً في الفَضاءِ

والصبـــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْـــرِي ‌ ‌ لفُـــؤادِي كمـــا سَـــرَى بالرِّضَاءِ

والربيـــعُ الأنيـــقُ ما عَـــادَ يُذكِي ‌ ‌ فِـــيَّ وَمْـــضَ الحيـــاة كالأحياءِ

والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً ‌ ‌ عـــادَ مَيْتـــاً مُعَطَّـــلَ الإيحَـــاءِ

هـــي نفسٌ أحالـــتْ الكـــونَ قَفْراً ‌ ‌ فتـــراءَى مُعطـــلاً مِـــنْ وَرَاءِ

هـــي نفـــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســـي ‌ ‌ هي دَائِي فلســـتُ أرجو شِـــفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشَّـــجُون وهاجتْ ‌ ‌ حُرقَـــاتِي وأيقظـــتْ لأوائِـــي[١]

يا أخِي هَاتِ مِـــن حديثِك. صَوِّرْ ‌ ‌ في خَيـــالي مَلامِـــحَ السُّـــعَدَاءِ

كيـــفَ يَحيَـــون غِبْطَةً وابتســـامًا ‌ ‌ كيـــفَ يرضَون للأمانِـــي الوضَاءِ

أو فأمْسِـــكْ فـــكلُّ شـــيءٍ مُثيرٌ ‌ ‌ لشُـــجُونِي. وخلِّـــنِ وشَـــقَائِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١– الأأواء: الشدّة والألم.

ليلات في الريف *

مِنْ حنينِ الفؤادِ؛ مِن خَفَقَاته   ذلك الشِّعرُ، من صَدى زَفَرَاته

وَسِعَتْه الألفاظُ وَزْناً ومَعْنَى   ثم ضاقتْ عن رُوحه وسِمَاته

هُو وحيٌ لذكرياتٍ حِسَانٍ   أوْدَعَ الخُلْدُ بينها ذِكْرَياتِه

وليالٍ يَا حُسْنَها مِنْ ليالٍ   يَشْتَريها مُخلّدٌ بحياته

هَمسَ الصمتُ بينها هَمسَاتٍ   خَفَّضَ الكونُ عِنْدها خَفقاته

وسَرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا   نَ كَطَيْفٍ مُسْتَغْرِقٍ في سُباته

* * *

يا جمالاً بريفِ مِصْر قريراً   هادىء البالِ في خُشوعٍ وَقُورِ

لستُ أنسى فيكَ لياليَ مرتْ   هُنّا أطيافُ عهدِنا المَأثُورِ

حينَ نَسْرِي والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً   فوقَ سهلٍ كالعَيْلَمِ المَسْجُورِ[1]

بينما الزهرُ حالمٌ في رُبْاه   وغُصونٍ مُهَدَّلاتِ الشُّعُورِ

وخريرُ الأمواه سَاجٍ رتيبٌ   مثلَ شَدْوٍ في عَالَمٍ مَسْحُور

ونَجيٌّ من الرِّفاقِ بِهَمْسٍ   وحديثٍ مُسْتَعذَبٍ مِنْ سَمير

قَدْ وَعَى الدهرُ هذه الليلاتِ   ووعينَا آثارَها الباقياتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْـرى تَوشَّـجَتْ بنفوسٍ   حانيـاتٍ لطيفِهـا رَاجفَـاتِ[٣]

سـوف تُعييه رُقْيـةٌ مـن خُلُودٍ   عوّذَتْهـا الفنـاءَ والحَادثاتِ.![٤]

هذه مَسْـكَةٌ مـن الأبـد البَاقي   المعهـودِ قبـلَ خَلْـقِ الحيـاةِ

ذَخَرَتْهـا الأحقابُ حـتى اجتمعْنَا   فأبيحـتْ فمالَهـا من فَـوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.
٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.
٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.
٤- عوّذها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ   وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي

يا ريف فيـك من الخلـودِ أثارَةٌ   تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[١]

وتردُّ إحْسَاسِـي إليك إذَا خَلَتْ   نفسـي إلى الآمـالِ والآلام

وكأنّني المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً   في بُهْـرةٍ كالطائِـف النَّـوام![٢]

* * *

إني فقدتُـك في الطفولـةِ غافلاً   عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السّـامي

لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخَاطري   رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـام

وتكشـفتْ نَفْسـي فلُحتُ كأنما   نَفْسـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤام[٣]

ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً   لم تُبْـلِ جِدّتَهـا يـدُ الأيـام

واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنني   طـيرٌ يـؤوّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَام

يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني   للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظّامـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ   في الوهـمِ، لَـمْ يَتَبَـدَّ للأَقـوام

وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ   صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامي

وتُحس بالسـرّ العميـقِ تَخالُهُ   يُضْفِـي علـى الأيقـاظِ والنُّوام

* نشرت عام ١٩٣٣
١- أثارة: بقية
٢- في بهرة: في دهشة.
٣- بتؤام: التؤم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّة

ويلوحُ في وضحِ النهارِ وينْطَوي   ما بينَ طياتِ الظَّلامِ الطَّامي[١]

هو ذلك السِّرُ الذي مِفْتَاحُه   ضُمَّتْ عليه جَوانِحُ الأهرامِ

* * *

إني أجولُ بِخاطرٍ مُتنقلٍ   في حيثما امتدَّ البسيطُ أمامي

فإذا مَواكِبُ للجمالِ وَديعةٌ   جمعَتْ طرائفَها يَدُ الإلهامِ

للطيرِ فيها، للأزاهرِ، مَوْكِبٌ   للناسِ، للحشراتِ، للأنْعامِ!

متآلفين، سَرى الرِّضا لنفوسِهم   فيما اغْتَذَوا من مَشْرَبٍ وطَعامِ!

كلُّ يرجِّعُ للطبيعةِ لَحْنَه   في ذلك الوادي الخصيبِ النَّامي

وهُنا الطبيعةُ كالغريرةِ إنما   وَرِثَتْ وقارَ أُبوّةٍ مُتَرامِ![٢]

تَلْهُو، ولكن في براءةِ طِفْلةٍ   من نَسْلِ آلهةٍ غَبَرْنَ كِرَامِ!

عَبَدتْهم الأوهامُ في غَمَراتِها   واندسَّ بعضُ الوهمِ في الأفهَامِ

وتَوارثْته طبيعةٌ خَلَدَتْ بها   مصرٌ على كَرٍّ من الأعوامِ

يا ريفُ مِصر، وأنت سِرُّ بَقائِها   اسلَمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وحُطَامِي.

* * *[١]

١- الطامي: الشديد .

٢- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليلات المبعوثة*

بعد عام كامل من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلاَت الأولى والثانية مُتحداً.

أهُو البعثُ ياليالي الخُلودِ؟   أمْ تُرى أنتِ نَفْخَةٌ من جديدِ؟

أم تُرى صورةٌ منك صِيغتْ   بين وَحيِ الإلْهامِ والتجويدِ؟

يا ليالّي ما أراكِ سوى أنتِ   كما كنتِ مرة في الوجودِ!

ها هُنا والزمانُ يَحْلُم وَسْنَا   نَ سعيدٌ لها بِحُلْمٍ سَعيدِ!

ورَنَا البدرُ في حياءٍ وَديعٍ   وهو راضٍ رِضاءَ طفلٍ وَليدِ

ورِفَاقي هم الرِّفاقُ، ونَفْسي   هي نفسي، وعَالَمي؛ وعهودي!

ما أرى مَعْلَماً تغيّر أو رَسْماً   مَحَتْه يدُ الزمانِ الكَنُودِ[١]

أنتِ ليلاتُنا! فَقُصّي علينا   كيف أفْلَتِّ من زمانِ القيودِ؟

* * *

قَدْ تسللنَ خِفْيةً في الظلامِ   بينما الدهرُ سَادِرُ الأوهامِ![٢]

ثم وَافيننا وهُنَّ سُكَارَى   حالماتٍ أغْرقْنَ في الأحلامِ

هامساتٍ لَنا. لقد بُعِثَ العَهْدُ   فهيا مِن كُلِّ لَهفانَ ظَامِ[٣]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَـا دُعاءَهُـنَّ سِـراعاً وخلَعْنَـا دُنيا الحِجَـا والحُطام[١]

ورقينا مَـدارجَ الخُلْـدِ والكَونُ مُسَـجًّى في غَفْلَـةٍ وظَـلام

ها هُنا كنـتُ منذُ عـامٍ! ولكن يـا لنتفسـي! فها هُنـا أيّ عام!

مـا أرى للزمـانِ رسمـاً! فهذا كلُّ شـيءٍ هُنـا كرمزِ الـدّوام

إيـه ليلاتِنـا، أعيـدي علينـا قصة الخُلْـدِ، فالأماني ظَـوامِ[٢]

* * *

خَيَّـمَ الليلُ في خُشُـوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْـقِ القُلوبِ

وسَـرينا نرتـادُ سِـرّض الليالي وهـي تُفْضِـي بِسـرِّها عجيب!

ومَتاعـاً مِـنَ الحيـاةِ نَفيسـاً ضَمَّنَتْـه آلاف عهـدٍ خَصيـبِ

قَـد رَشَـفْنَا خلاصةً منـه تُغْنِي عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّـعوبِ

وسَـرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّـرَتْ عنـه بالغِنَـاءِ الرتيـبِ

وتسـامتْ أرواحُنـا في نَجـاءٍ وتهـادتْ قُلوبُنـا في دَبيـبِ

تِلـك ليلاتُنـا، وهـذا صَدَاهَا إيـهِ ليلاتِنـا؛ اخْلُـدِي، لا تغيبي

* * *

---

١ – الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.

٢ – ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانَـتي الأولى وَرْوَحح شـبابي أئذا دَعْوتُ سَـمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ

أنا في الجحيـمِ هُنا وأنـتِ بجنّةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَـبابِ[١]

أنا في الجحيمِ وأنـتِ نَاعمةُ المُنَى خَضْـراءُ ذاتُ تَطَلّـعٍ وطِـلابِ

أنا لا أُريـدُكِ هاهنـا في عالَمي إني أُعيـذُكِ مِـنْ لَظـىً وَعذَابِ

لَكِنَّهـا الذِّكْرَى تثـورُ بِخَاطِري مَجْنُونَـةً حمقـاءَ ذاتَ غِـلابِ

* * *

عَيْنِـي رَعَتْكِ وأنـتِ نَابِتَةٌ فلم تَغْفَـلْ ولم تَفْتُـرُ ولم تَتَألَـمِ

وتَعَهّدَتْـكِ يَـدي وأنـتِ نحيلَةٌ وغِذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمِي

فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلَكِ تَنْتَشِـي وتَهُـمُّ رَاقِصَـةً وتَهْتِـفُ بالفـمِ

حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّـذى ألفيـتُ نَفْسِـي في صميـمِ جَهنّمِ

مُلْقىً هُنالِـكَ لا أُحسُّ ولا أرى إلاّ الشُّـواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتـمِ[٢]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١ –رَيْقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢ – داج معتم: شديد الظلمة.

بيني وبينكِ شُيَّةٌ لا تَنْتَهي   أبداً أُقارِبُ حَولَها وأُباعِدُ

هي شُقّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها   لمجاهلٌ لم تُكتشَفْ وفَدافِدُ[1]

الشمسُ فيها لا تُطِلُّ ومَا بِها   إلا الرواكدُ والظَّلامُ البَارِدُ

أنا لَسْتُ سَالكهَا وأنت حَفِيةٌ   أن تَجْنُبي عَنْها ونَجْمُكِ صَاعِدُ[2]

فإذا الذي بَيني وبينكِ كلُّهُ   ذِكْرى تُطِلُّ برأسِها وتُعاوِدُ

* * *

وأراكِ مِنْ خَلل الغيوم أسيفةً   إذْ تَذْكُرينَ رِعايَتي وجُهودي

وتَريْنَ حَاضِرَنا وَغابرنَا معاً   وتُراجعينَ مَواثِقي وعُهودي

نَفْسي فداكِ فلا أراكِ شَجيّةً   تُرقي الغُضُونُ لوجهكِ المَعْبُود

وقفٌ عليكِ تَطلُّعي وتَلهُّفي   وقفٌ عليكِ قَصائدي ونَشيدي

لكن أُعيذُكِ خَطْرةً في عَالَمي   إنّي أُعيذُكِ وَحْشَتي وكُودي

* * *

1- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

2- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لكَ يا جمالُ عبَادتي لك أنْتَ وَحدَكَ يا جَمالْ

تعصى تعاليمُ الطُّغَاةِ، أو الهُدَاةِ على ضَلالْ

ويُخالَفُ التشريعُ جهراً أو خَفَاءً في احتيالْ

وتُجَانَبُ الأديانُ أو تُنْسى وتُهْجَرُ عَنْ مَلالْ

وأراكَ وَحدَك يا جمالُ تَلقى الخضوعَ والاحتفالْ

والحبَّ والإيمانَ مِنْ كلِّ الأنامِ بكلِّ حَالْ!

* * *

المالُ مَعبودُ الحياة المُسْتَذلُ قُوى الرجالْ

هو بعضَ قُربانِ النفوس إلى مَقامِك في ابتهالْ

وأرى الألوهةَ فيكَ تُوحي بالعبادة في جَلالْ

ما أنتَ إلا مظْهَرٌ منها تُوشِّيه الظِّلالْ[1]

فإذا عَبدتُكَ لم أكُنْ يا حُسْنُ مِنْ أهلِ الضَّلالْ

بل كنتُ محمودَ العَقيدةِ في الحقيقةِ والخيالْ

أعْنُو لمَنْ تَعنُو لَه كلُّ النفوسِ بلا مِثَالْ[2]

مُتفرّقاً في الكَونِ في شَتى المَرائي وَالخِلالْ

فإذا تَركَّزَ ها هُنا بَطَلَ التَّمحُّلُ والجِدْال![3]

* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري   وفي صَمْتِها المُوحي مرَادُ خَواطِري

تُطلُّ علـى الدنيا فتوقِــظُّ قَلْبَها   وتمنحُ هــذا الكونَ إيمانَ شَــاعرِ

وتَسْـكُبُ في ألحانـه عبقريـةً   من الفــنِّ لم تخطرْ بآمالِ ســاحرِ

وتجلُــو مــن الدُّنيا عميــقَ فنونها   وتكشــفُ في أطوائها كلَّ خاطرِ

ومِــنْ عجبٍ تُوحي بفتنةِ ســاحرٍ   وتَهْمِــسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَــفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه   خواطِــرُ فنــانٍ نَــدِيِّ المشــاعرِ

وقد رقَّ هذا الجســمُ حتى كأنه   هَواتفُ حُلْــمٍ ناعماتِ البَشَــائرِ

وقد رقَّ هــذا الصوتُ حتى كأنه   أغاريدُ لَحْنٍ في الســماواتِ عَابرِ

وقد خفَّ هــذا الخَطو حتى كأنه   مــرورُ نســيم بالأزاهــيرِ عاطرِ

وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري   وإنــك طيــفٌ هَامــسٌ للنواظرِ!

* * *

لأَيقظتِ في نفسي ســعادةَ شاعرٍ   وراحــةَ موهــوبٍ وغِبْطَــةَ ذَاخرِ

وأشــعَرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا   ومعــنى الغِنى عــن كلِّ آتٍ وغابرِ

مَدَى فيه من أفــقِ الخلودِ مدارجُ   رَقَيْــتُ إليها في سَــنى منك باهرِ

سَــبقتُ به خَطوَ الحيــاةِ لِنَهْجِها   وجُــزْتُ بــه آفاقَهــا في المَعَابــرِ

فيا لَــكِ مِن هَــادٍ سَــنيِّ المنائرِ   ويَــا لي من سَــارٍ وَحِــيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظــتِ أنبلَ ما يُجِــنُّ ضَميري   وبعثتِ جوهــرَ عُنْصري المَطْمُورِ[١]

فإذا أنــا الرُّوح التي تَســمُو بها   دُنيــا الحيــاةِ لأَوْجهــا المنظــورِ

وإذا أنــا النُّــورُ الــذي تجلُو به   تلك الحيــاةُ غَياهــبَ الدِّيجورِ[٢]

وإذا أنا الشَّــوقُ الذي يَحدُو لها   فتَغــذُّ بــين مَســالِكٍ وصخــورِ

وإذا أنا الشَّــعر الذي تَشْــدُو به   في نَشْــوةٍ وتجيــش بالتعبــيرِ

وإذَا أنا الخــيرُ المُمَحَّضُ والهدُى   والحــبُّ والنَّجوى خِــلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَــفْتِ ضَمائري   وجَلَــوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْــتُورِ؟

وغَــذَوتِ فيَّ فَضَائلــي ورَوَيْتِها   حــتى أطلَّــتْ بالجَــنى المَدْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامحي   وجعلتِ أشــواقي صــلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْــنِ الوديــعِ ونظرةٍ   بيضــاءَ صافيــةٍ تُريحُ شُــعوري

وتُحيلُ أشــواقي رِضــاءَ مُخلَّدٍ   راضٍ بخُلْــدٍ لم يُشَــبْ بقُصُــورِ

وتُحيلُــني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى   كالعطفِ، أو كالحــبِّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْــبيحي وهَمْسُ سَرائري   وإليكِ غايــةُ غِبْطَتي وسُــروري

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجنُّ: يستر.

٢- الدِّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّكِ الْجَميلِ فَأْوِبي   شَدَّ مَا اشْتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبي![1]

كانَ دفئاً وَكانَ مَرْتَعَ صَفْوٍ   فكَسَاهُ الصَّقيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]

مُنْذُ غَادرْتِهِ قَدِ انْتَثَرَ الحبُّ   وطَاحَتْ بِهِ رِيَاحُ الْهُبُوبِ

وتَخَلَّتْ عِنايَةُ اللهِ عَنْهُ   فَهُوَ في وَحْشَةِ الغَريبِ الكئيبِ

وَلَيَاليهِ شَاجِياتٌ حَيَارَى   يَتَرامَيْنَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ[3]

* * *

عُودي إلى الْعُشّ عودي   وَرَفْرِفي مِنْ جَديدِ

وَرَنِّمي بالأغَاني   في جَوِّهِ واسْتَعِيدي

وَأدْفِئِي بالأمَاني   مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِ

وَتَمْتِمي بالتَّعاويذِ   وَالرُّقَى وَالنَّشيدِ

وَأطْلِقي فِيهِ لَحْناً   يَشْدُو لِحُبٍّ سعيدِ

وَيَطْرُدُ الْيَأسَ عَنْهُ   بالشَّدْوِ والتَّغْريدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَالَ انْتِظَارُكِ وَهْناً   في ظُلْمَةٍ وَكُنُودِ[1]

وَالرِّيحُ تَعْبَثُ فيهِ   بكلِّ غالٍ مَجيدِ

وَكلُّ خَفْقِ جَنَاحٍ   أوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعيدِ

يَخَالُ فِيها مآباً   بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرودِ

* * *

عُودي إلى الْعُشّ عُودي   وَرَفْرِفي من جديدِ

أَضْنَاكِ طُولُ الشُّرُودِ   وَلَذَّةُ التَّصْعيدِ

عُودي إلى الدِّفْءِ في عُشّكِ   الأمينِ الوَدُودِ

الْعُمْرُ يَمْضي فَهَيَّا   نُعيدُهُ لِلْوُجُودِ

* * *

١- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعالَيْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالَىْ. أوشكتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيَا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالَىْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولاَ تَسْمَعْ
ولا تُجْدِي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كِلانَا ضَائِعٌ في الكونِ مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ له في الغيبِ مَوْعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَريبَيْنِ!
إذا عَاشَا – مَعَ الحُبِّ- فَريدَيْنْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّريدَيْنِ!
* * *

نَعمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَريقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضي حُبِّنَا أيْنَا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَىْ نُحْي بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْييه يُحْيينَا
* * *

تعالَىْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعالَىْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[١]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيامٍ عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بِأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ به ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا مِنْه سِوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين مِنْ العُمْرِ[1]
فَدفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدِي لَدَى القَرِّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ

* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدينا
وجَذْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذِينَا

* * *

تعالَى نَقْطَع البَاقِي مِنَ العُمْرِ
رَفِيقَيْنِ علَى الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَلِيفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ

* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ يُدْنِي إلّى خيالَكِ
وتَسْتَجيشُ حنيني إلى الليالي هُنالِك
للأمسيات السُّكارَى نَشْوى تَرِفُّ حِيالَكِ
ونَسْمَةٌ فيك تَسْري ريَّانَةٌ[2] مِن جَمالِكِ
نجواكِ مِلْءُ فُؤادِي تُرى خَطَرتُ ببالك

* * *

النيلُ والموجُ سَارٍ يُقَبِّلُ (الشُّطآن)
والبدرُ والنورُ سَاهٍ كحالمٍ وَسْنَانْ
وفي الجِواءِ حنينٌ مُجَنَّحٌ حَيرانٌ[1]
ومِن هُنالِكَ لَحْنٌ يَهْفُو إلى الآذانْ
صَدَاه نَاءٍ عميقٌ في ناي هذا الزَّمانْ

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠
١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

في النفسِ يا مِصرُ شوقٌ لِخَطْرَةٍ في رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ لِنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ
لِوَمْضَةٍ مِنْ سَماكِ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
لِليلةٍ فيكِ أُخْرى مع الرِّفاقِ هُنَاكِ
ظمآنُ تهتفُ رُوحي متى تَراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفَافْ هُنا فتاكِ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطَافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاك الأديمَ المغبَّرْ
متى يَشُمُّ شذاه كالأُقحوانِ المُعَطَّرْ؟

* * *

متى ترى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفَّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضِفافْ تأوي خُطاه الشريده؟

* * *

رُؤاكِ في ناظِرَيهْ تَرِفُّ كالأحلامْ
تُرى هَفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُكِ السّارياتْ كالنَّسْمَةِ العبقريّهْ

حالتْ إلى ذكرياتْ مُعَطَّراتٍ نَديّهْ

* * *

مُجَنَّحاتِ العبيرْ مُرَفْرَفاتِ الأمَاني

في عَالمٍ مسحورْ مُوسع بالأغاني

* * *

هُنالك حيثُ خُطاهْ مَنثورةٌ في الطريقْ

ما زَالَ فيها الحياةْ تَدْعُو دُعاءَ الغريقْ!

* * *

يا أرضُ رُدّي إليكِ هذا الوحيدَ الغريبْ

هَواهُ وقفٌ عليك رُدّي فتاكِ الحبيبْ

ابتسامة*

أنِرْ بفؤادي كلَّ أسْوانَ مُظْلِمِ   ببَسْمَةِ رَاضٍ في الحياةَ مُنَعَّمِ[1]

وصَوِّرْ بها الآمالَ: إنّي رأيتُها   تطيفُ بريّا ثغرِكَ المُتَبَسِّمْ

وطالِعْ بِها وَجْهَ الحياةِ نَديَّةً   تَمسُّ حَشاشاتِ القلوبِ بِبَلْسَمِ

وتَسْري إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً   يفيضُ عليها من رِضاءٍ وأنْعُمِ[2]

فَدَيْتُكَ لا تَألُ الحياةَ ابتسامةً   أرقَّ وأحنى مِنْ خيالٍ مُهَوِّمِ[3]

مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَةً   وتَخْطُرُ في رِفْقٍ بذيالكَ الفَمِ!

فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غِبْطَةً   تُشَافِهُهُ هَمْسَ الرَّجاءِ المُتَمْتِمِ

وتدركُها الأرْواحُ في خَطَراتِها   كما تدركُ الأسماعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ

فديتُكَ لا تألُ الحياةَ تَبَسُّماً   فإنكَ لم تُخْلَقْ لِغَيرِ التَّبَسُّمِ

وقتكَ الليالي العابساتُ عُبوسَها   إذَنْ فَتَبَسَّمْ كيفما شِئْتَ وَانْعَمِ

* * *

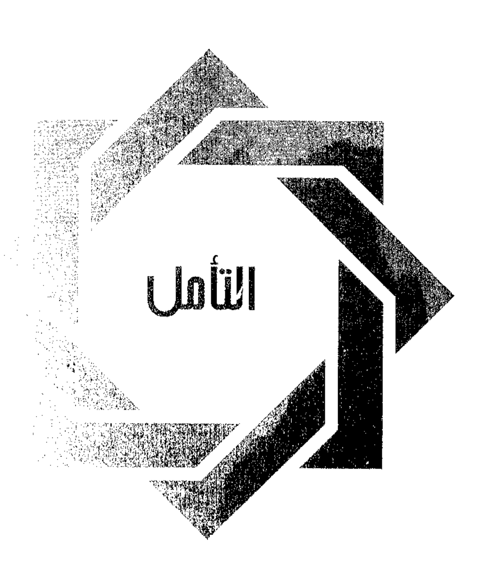
---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



إلى الشاطىء المجهولِ والعَالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْــــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْـــعُ العُمُـــرْ؟
نَفْحَـــةٌ تَنْفُثُها[٤٢] تلك الشِّـــفاه تبعـــثُ المَيْـــتَ وتُحيي مـــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْـــمَةٌ كاللحـــن مِـــنْ قِيثارَةٍ رائـــقِ المعـــنى رَقيـــقِ النَغَمَـــاتْ
أو شَـــذى يَـــأْرَجُ مِنْ نَـــوّارَةٍ في غُصـــونِ الوردِ زَاكِـــي النَّفَحَاتْ

* * *

بَسْـــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليم من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ[١]
بَسْـــمَةٌ تُشْـــرِقُ في الوجهِ الكريم كاتبسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[٢]

* * *

نَظَـــر الدهـــرُ إليهـــا فابتَسَـــم وســـرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَديبْ
سَـــريان البُـــرْءِ هَوْناً في السَّـــقم ودبيبُ الرُّوحِ في الميْتِ السَّـــليبْ

* * *

ذلـــك القلـــبُ وقد جـــفّ نَدَاه وغـــدَا أجـــوفَ كالنبتِ الهَشِـــيمْ
وخَبَـــا في أفِقِـــه ضـــوءُ الحَيَـــاة وبَـــدَا كالمعبـــدِ البَالِـــي القـــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩
١- الكليم : المجروح
٢- الخضل: من خَضِل يخضَلُ: نَدِي وابتلَ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنّ   وأحسّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنُّ   في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيَّاه فُؤادي   في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبّ بزادٍ   ومِنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنّ عَينيه إذا ترنُو إليّ   تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجاءْ
وهو إذ يحْنُو بِعِطْفَيه عليّ   يَغْمُرُ النفسَ بِفيضٍ من رِضاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُو   فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوٍّ   لستُ أدْريها ولكن أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟   أتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتي وأمَانيّ الوِضاءْ   عَهْدُنا الغَابرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً   وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْتَ سُلْوانا
فجمةُ الحبِّ قد تخْبُو ويَعقُبُها   بَرْدُ السُّلو وتَنْسَى كلّ ما كانا
فلا جَفاءٌ ولا شَكْوى تُردِّدُهَا   ولا دَلالَ ولا وَجْداً وَتَحْنانَا
تُمْسي وتُصبحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ   ثَبْتَ الجَنانِ مُريحَ البالِ طَمْآنا
نَعمْ سَتعْدمُ حِسّاً رقّ جَانبُه   ودَقَّ في عالمِ الإحساسِ ميزَانَا
ومَا يُضيرُكَ من فُقْدانِ رقّته   إذَا فَقَدْتَ بها بُؤساً وأشْجَانا
وما الحياةُ إذا رَقّ الشعورُ سِوى   بؤسٍ يَجْرَعُهُ الإنسانُ غَصّانا

* * *

ستُبصِرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما   تَلُوحُ للناسِ والأكوانِ أكْوانَا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شيئاً أنْتَ تَعرِفُه   وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !
خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهبُه   لولاه مَا لاحَ في الأنْظارِ فتّانا !

* * *

فخَلِّ يا قلبُ آمالاً تجيشُ بها   فقد تغررك الآمالُ أحيانَا
هذا الهدوءُ تُنمّيه وتَألَفُه   فيستحيلُ مع الأيامِ نِسيَانًا

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيـه يـا دُنيا ومـا أَنْتِ سِـوى   عبـثِ الأطفـالِ فيمَـا يلعبُون

ضَجَّـةٌ صاخِبـةٌ لا تحتـوي   غـيرَ أَصْـدَاءٍ قَويـاتِ الرَّنـينْ

فـإذا فَتَّشْـتَ عـن مَبعثِهـا   لم تجدْ شـيئاً تُخبيـه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَـبٌ خَفْقُـكَ يـا قلـبي في   هـذه الأضلعِ من بعـدِ الخُفُوتْ!

أَوَمـا زلـتَ إذنْ لم تَشْـتَفِ   مِنْ حنـينٍ فيك حَـيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَـازالَ إذنْ نبـعُ الحيـاة   لم يَغِـضْ فيك ولم ينضـبْ مَعينُهْ

رُبَّمـا فَـاضَ على تلـك الفلاةِ   في فؤادٍ مُقْفِـرٍ جَفَّـتْ غُصُونُهْ!

* * *

طـالَ عَهـدى أيُّها القلـبُ به   ذلـك الخفـقُ الـذي ذَكّرتَنيـه

ذلـك الخَفْـقُ الـذي لا ينتَهى   حيث يَسـرِى الشّـعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـم ربيـعٍ مَـرَّ يتلُـوه ربيعٌ   وفـؤادي في خريـفٍ راكـدِ

هَامدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ   في حيـاةٍ ذاتِ نَمَـطٍ واحـدِ

* * *

وحُرِمْـتُ الحِسَّ ، حـتى بالألَمْ   والنّـدى حتى بتسـكابِ الدُّموعِ

إيه . مـا أقفرَ إحسـاسَ العَدَمِ   والأمانِـي راكـداتٌ في القَنُـوعِ

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـضِ القَويّ   وتَفَتَّـحْ كلَّ يـومٍ عَـن جديـدِ

لم يَـزَلْ في جَعْبَةِ الكَـوْنِ الغَنِيّ   مَـا يُغَذّيـكَ بأحـلامِ الوُجُـودِ

* * *

وإذا لَم تسـتطعْ فاخلـقْ حَيَاه!   من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي

ومن الحبّ، وما صاغـتْ يَدَاه   مـن جحيـمٍ يتلظّـى أو جِنَـانِ

* * *

البعث *

قد بُعثــتُ اليومَ أحْيــا مِنْ جَديدِ   فهــو بَعْثٌ مـــن حيــاةٍ خامِدةْ

مَرَّ نِصــفُ العُمــرِ أو كادَ يزيدُ   لهفَ نفسِــي – في حيــاةٍ رَاكدةْ

في حيــاةٍ لم أجــدْ فيهــا حَيَــاه!

بَلَــغَ العُقْــمُ بهــا أقْصَــى مَدَاه

وتبــدَّتْ بَلقعــاً مثــلَ الفَلاه[1]

ثم لاحــتْ تَتَــراءى مِــنْ بَعيدِ   شُــعلةٌ مِــن نــارِ حُــبٍّ وَاقدةْ

تُلهبُ الحِسَّ وتَسْــتوحى القصيدْ   والأناشــيدَ العِــذابَ الخالــدةْ

شــاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ   مُلْهَمَ الفِطْــرةِ منْهُــومَ النَّظَرْ[2]

نابضٌ بالعطفِ حَســاسُ الضميرِ   يُدرِكُ الهَمْسَــةَ تَسْــري في حَذَرْ

كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ

مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ

مُقْفراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟

هكذَا عِشْــتُ كســكانِ القُبورِ   في ربيــعِ العُمْرِ في العهــدِ النَّضِرْ

آه لو أسْــطِيعُ للماضِي الحسـيرِ   رَجْعَــةً من بعــدِ ماجَــاء وَمَرْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع

٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ!   نابضــاً بالحــبِّ جَيَّــاشَ الأمانِــي

مُمْسكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ   مُســتعزّاً فيه حــتى بالتوانِــى![1]

ظَافــراً أمــرحُ فيــه كالطيــورْ

حينمــا تشــدُو بألحــانِ البكورْ

بعدمــا تَنفحُهــا ريــحُ الزهورْ

نصفُ عُمْري قَدْ تولّى في اكْتئابِ   فلأقضِ النصفَ نشــوانَ الأغاني!

هائماً ألْهــو بمعســولِ الرّغابِ   أو أُغنِّــى بالأمــانيِّ الحِســانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الغابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُعاعٌ   بينما أخبِطُ في داجي الظّلام

في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع   حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]

حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجما

ويطوفُ الرُّعب فيها حائمًا

والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما

وترى الأشباحَ في رأسِ التّلاع   كالسِّعالي، أو كأشباحِ الحِمامِ[2]

فاغراتٍ تَتشهى الابتلاعَ   تنهشُ اللّحمَ؛ وتَفْري في العِظامِ

* * *

فَتلفتُّ على الضوءِ يَلُوحُ   مِثْلما تَلْمَحُ عينُ السّاهرِ

أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ   أو كمعنى شَاردٍ في الخاطرِ

قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ

شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العِثارْ[3]

طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرّجام.

٢- السعالى : مفردها السِّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفَّ أي نحل ودقّ من همٍّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثُم أزمعتُ إلى الأفُق الصَّبُوحِ   أرتجي فيه أمانَ الحائرِ

أصعَدُ الرابيَ وأهوَى في السُّفوحِ   وكأني طيفُ جنٍ نَافرِ

ثُم ماذا؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ   فَجْأةً والقَبَسُ الهادي خَبَا

ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ   لاَهِثاتٍ، تَتراخَى تَعبَا

رجفةَ الخائف أَضْناهُ العَياءْ

وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]

قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ

وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهَكْ   لَيس يَدري لخَلاصٍ سَبَبَا

حولَه الظُّلْمَةُ في أيِّ سَلَكَ   حيثُ ينسى الهاربُون الهَربَا!

* * *

قلتُ ماذا؟ قال لي: رَجْعُ الصّدى   إيه ماذا؟ قلتُ للوهمِ عَلامَا؟!

قال لي اخشعْ أنْت في وادي الرَّدى   حيث يَطْوي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!

ها هنا تُثوي الأماني؛ هَا هُنا

في مَهاوي اليأسِ في كَهْفِ الفنَا

كل شيءٍ هالِكٌ، حتى أَنَا!

ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا   وتَلاشَى تاركاً منه النَمامَا

وإذا بِي عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً   لا أرى شيئاً، ولا أدْري إلامَا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية

٢- طرًّا: جميعاً

٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] – كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنا في ذلك القفرِ هُنا   ما بَرِحنا منذ حين شاخِصَاتْ؟

كلُّ شيءٍ صامتٌ مِن حَوْلنا   وأرانا نحن أيضاً صامتاتْ!؟

تطلُعُ الشمسُ علينا وتغيبْ

ويطلُّ الليلُ كالشيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْرُ تغدُو وتَئوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ...   وطلوعٌ وأفولُ...   ثم نَبقى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يا أُخْتي الكبيرةُ   ما الذي أطْلَعَنا بينَ اليبابْ؟

أيَما إثْمٍ جنينا أو جريرةٍ   سَلَكَتْنا في تجاويفِ العذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ

لَبثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ

أفما آن لتبديلٍ... أوان؟

حدثيني لِم نَشْقَى؟   حدثيني كم سَنَلْقَى؟   حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:

أنا يا أُختاه: لا أدري الجوابَ   ودَفِينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنا

منذ ما أطلعتُ في هذا الخرابِ   وأنا أسألُ: ما شَأني هُنا؟

فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!

وأنا أخبط في وادي الظنونْ

لستُ أدري حِكْمَةَ الدّهرِ الضنينْ[1]

غير أنا حائراتٌ...   والليالي العابثاتُ...   تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّما كُنّا أسيراتِ القَدَرِ   تَسْخَرُ الأيامُ منّا واللّيالي!

تَضْرِبُ الأمثالُ فينا والعِبَرَ   وإذا نشكُو أذاها لا تُبالي!

رُبما كُنا مَساحيرَ الزَمنْ!

قد مُسِخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]

في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!

فإذا كان يعود...   فكّ هاتيك القيود...   فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح

٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانا نَسْلَ أربابٍ قُدَامى   قد جَفَاها وتَولّى العابدُون!

جَفَّتْ الكأسُ لديها، والنّدامى   غادروا ندوتَها تَنْعي القرُون

أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!

صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!

فبقينا في العَراءِ..   يجتوينا كلُّ راءٍ..   وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لستُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّي كلَّ شيءٍ في سُكُونْ

وإذا ما غَالنا غُولُ المَنونِ   فهنا يَغْمُرُنا فيضُ اليقينْ!

* * *

ثم سَادَ الصمتُ كالطيفِ الحزينْ

وتَسَمَّعْتُ لأقدامِ السنينْ

وهي تَخْطُو خَطْوَةَ الشيخِ الرزينْ

هامساتٍ في الرمالِ   مُنشِداتٍ في جلالِ   كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من احتوى: كره

بين الظلال *

يا ذكْرَياتي البعيدةَ

يا أُمنياتِي الشَّريدةَ

إليّ قبلَ الصباحِ

إليّ مِنْ كلِّ صوبِ

فَهينمِي حولَ قلبي

فانت وَحْيِي وزَادِي

غَفلْتِ يا ذِكْرياتي

بين اصطخابِ الحياةِ

وكلِّ جَأرٍ قويٍّ![2]

سهوتِ يا أُمنياتِي

إلى مَراقِي الحياةِ

بحاضرٍ مَأتِيَّ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتي البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصَّباحِ

الليلُ أرْخَى سُتُورَه في هُدْأة كالخُلودِ
والبدرُ أرْسَلَ نورَه كَبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضي المُحيَّا سعيد

وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعاد يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتي الخَوالي
وأمنياتي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإِياسِ
ورُضْتُ نَفْسي فلانتْ من بَعْدِ طول الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراسِ

ورفرفتْ ذكرياتٌ أثرنَ قَلْبي حنينا
ونضَّرتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتي البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلّي قبلَ الصباحِ

فالفجر في الكون لاَحَ
والصبحُ يُذْكي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادي ورفرفي في فؤادي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلو الدَّياجرُ[1]
ويُشْرِقُ وجهُ الصبُّحِ في غمرةِ الدُّجَى كما تشــرقُ الآمالُ واليأسُ غامرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى وتخفــقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَــاعِرُ
وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى وبالكدحِ تُزجيــه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي يَضِجُّ بها الأحياءُ، والدّهرُ سَــاخِرُ

* * *

ولكنّــه لم يُلْــفِ بالكــونِ نَأمَــةً تَنِمُّ على حــيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ
ففي نفســه ما يُشــبه الموتَ سَكْرَةً ومن حولِــه موتٌ نَمتْــه المقابرُ
جَــلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَــعَ وَجهَــه عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ
فــأدركَ في أعماقِــه عَــن بَديهــةٍ نهايةَ ما صَــارتْ إليــه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيــبِ عن أيِّ صاحبٍ ففي نفسه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنــه أَلْقَــي بهــا عَبْــرَ نظــرةٍ على الكــونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤
١- الدّيجور:ذ الظلام والجمع : دياجر
٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.
٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشــلاءٌ وأطــلالُ نعمــةٍ ... وبؤسٌ، وشَــتى ما حوتَه الأداهرُ

وفي نفسِــه مــن مثلِهــا كلُّ ذرَّةٍ ... فهاتيك أشــلاءٌ وهَذي خواطرُ

تجمَّــعَ فيها مــا تَفــرَّقَ في الوَرَى ... وما ضَمِنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ

خلاصــةُ أعمارٍ وشــتى تجــاربٍ ... ومجمعُ أشــواقٍ بها الكونُ حائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ ملْؤُها الأســى ... فمرّت عليــه الذكريــاتُ العَوابرُ

تَحثُّ خُطَاهــا مَوْكباً إثرَ مَوْكِبٍ ... وقد جاورتْ فيها المآســى البَشَائرُ

وأقبلــتْ الآمالُ واليــأسُ حولها ... تُمزّقُهــا أنيابُــه والأظافــرُ

وجَمّع فيهــا الخيرَ والشــرَّ رابطٌ ... من النفسِ مشــدودٌ إليها مُخامرُ[2]

وشَــتى عبــاداتٍ وشــتى عقائدٍ ... يُؤلّفُهــا الإيمــانُ وهــي نَوافــرُ

وفيهــا من المجهولِ ســرٌّ وروعةٌ ... ورغبــةُ محــرومٍ وخوفٌ مُســاوِرٌ

وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ ... تُحَجّبُــه عــن طالبيــه السّــتائرُ

فياليتَه يَــدْرِي بما خَلْف ســتْرِه ... فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُا![1]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.

٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.

٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمــالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ ... يُرْجَــى، وأذْكاه الخيــالُ المغامرُ

لعــلّ وراءَ الكــونِ مفْتَــاحُ لُغْزِه ... وطلْســمِ ما ضُمّتْ عليه السَّرائرُ

وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِــفُ الدُّجى ... ويخلعُ هذا الجســمَ والجسمُ جَائرُ

ولــولا مواثيــقُ الحيــاةِ تُشــدُّه ... إليهــا لأمضى عَزْمَــهُ وهو صَابر.

وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبلى ... وأشرقَ رُوحا حيثُ تَصفُو البصائرُ

وعَــاوِدَه حــبُّ الحيــاةِ لذاتِهــا ... وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ

وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكِها ... لــه وحدَه والنــاسُ مَيِّــتٌ وداثِر

فعــادَ إلى الدُّنيا العريضــةِ مالكاً ... ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشــاطِرُ!

ولكنّــه لم يســتطِبْ مُلْكَــه الذي ... تمحّــضَ لا يســعى بــه أو يغامرُ

وما فيه مــن كدٍّ ولا من تســابقٍ ... ولا ســابقٌ في الكادحــين وقاصرُ

وكيــفَ يطيبُ العيــشُ إلا تزاحماً ... فيرْبَــحَ مجدودٌ ؛ ويَخســرِ عَاثِرٌ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ ... دعاءٌ لعزرائيــلَ والكونُ سَــادِرٌ

((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً ... بَرِمْــتُ بمُلكٍ رَبُّه فيه خاســر))

((فهيا إذنْ للمــوتِ أَرْوِحُ رِحلةً ... لتُكْشَــفَ أَسْــتَارٌ ويَهــدَأ ثائرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرَةَ الموتِ هَينَمتْ[3] ... إلى مَسْــمَعيه هاتفــاتٌ ســواحِرُ

((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةٌ ... وأن تَشْتَرُوا الآتي بما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى   هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]

هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَسـرين خِفْيةً   هوامسُ لَم يكشِـفنَ في لحظةٍ سِتْرا

ويَعْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجَى   ويُجَنّبْنَ من نفسـي المعالمَ والجَهْرا

وفيهن مَنْ يُوحـين للنفسِ بالرّضا   وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخطَ والنكْرا

ومن بين هَاتيـك الهواتفِ مَا اسْمه   حنينٌ. ومنهُنّ التشوقُ والذّكْرى!

أَهَبْنَ بنفسـي في خُفـوتٍ ورَوعَةٍ   وسِرنَ بهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى

سَـواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى   من الأمـرِ إلا ما أردنَ لهـا أمراً!

إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَم الذي   حَننـتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى   معـالمَ للأزمانِ والكَوْن تُسـتَقْرا.

إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه!   إلى حيثُ تنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ   وتَمْـزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرا

فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ)   ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقةِ الكُبْرى

فليـس هُنا(غيرُ) وليـس هنا (أنا)   هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَسـتلهِمُ الظّفرا

أُهـوّم في هذا الخلـودِ و أرتقي   وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى

وأكشِـفُ فيـه عَالماً بعـدَ عالمٍ   عجائـبَ مازالـتْ ممنّعـةً بكْرَا

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلّتْ عن حقائقنا الصُّغْرى

هُنا عالَمُ الأرْواحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحرا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغرب الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملات غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستةِ أعوام ؛ أرِقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتٍ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

* نشرت في ١٩٣٤.

مَن الطارقُ السّاري خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابِرِ[1]؟

من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلّبُه الأوهامُ في كلِّ خاطرِ؟

ينقّلُ في تلك الدياجيرِ خَطْوه ويخطرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَكَنَتْ مِنْ حَولِه كلُّ نَأمَةٍ سوى قلبه الخفاق بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشَّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَى، فيعنُو كَلُّ نِكسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقّ والهُدى وللسرّ لم يَكْشِفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيّر في سرّ الحياة وما اهتدى إليه، ولَم يَقْنَعْ بتلكَ الظّواهرِ

وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يسيرُ كَمعْصُوبٍ بأيدي المقادرِ!

وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ وسَاءَل عنه الشِّعر في حَنَقٍ ثائرِ![2]

وسَاءَل عنه كلَّ شيءٍ، فلم يَفُزْ بشيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طْلَسَمُ سِرّه لعلَّ! فمن يَدْرِي بسرِّ المقابرِ؟

ألم يخلعْ الموتى الأحابيل كلَّها؟ أحابيلَ أوهامِ الحياةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُوا الدُّنيا الغَرورَ لأهلِها؟ ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى   إليهـا؟، ألا تُهدي اليقـينَ لحائرِ؟

أجلْ! رُبّما تُعْطي الجوابَ لسـائلٍ   ورُبّمـا تجلُـو المصـيرَ لشـاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه   تَسـمّع هَمْسـاً من خلالِ الحَفائرِ

«مَنِ الطارقُ السّاري خلالَ المقابرِ   فأقلقَ منّا كلَّ غافٍ وسَـاهرِ»؟

«أما يَقْنـعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟   أيَا ويحَ للأحيـاءِ صَرْعَى المَظاهرِ»

«تركْنا لهـم دُنْياهُمـو وديارَهم   ولم يَدَعُونـا في حِمى غـيرِ عامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـم حديثٌ قُدومُه   بنَغْمَـةِ إشـفاقٍ، ونَبْرةِ سـاخرِ!

«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذلك الحمى   وأيقـظَ في أحْشَـائه كلَّ سَـادرِ»

«أخُو صَبْوةٍ، يهفُـو إلى قبرِ مَيّتٍ   لَـهُ عنده وَجْـدٌ وتَحنـانُ ذاكرِ»

«يقرّبُـه منها التّذكُّـرُ والهوى   وتُبْعِـدُه عنهـا غِلاظُ السّـتائرِ»

«ومَا أخدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم!   يُغَشّـى على أبصارِهـم والبَصائرِ»

وقالتْ لهم أُمٌّ وفي صوتِها أسـىً   ونَبْـرةُ تحنـانٍ، وكِتْمـانُ صابرِ

«ألا رُبّما كانـتْ ثَكُولاً حَزينةً   على فَلْـذةٍ مِـنْ قلبِهـا المُتناثرِ»

«ورُبّما كانتْ عَجُـوزاً تأيّمَتْ   وضَاقتْ بدَهْرٍ ناصبِ العَونِ غادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهبٍ   وفيما حَوتْه نَفْسُـه مِنْ مَشـاعرِ!

وجَلْجلَ صوتُ الشيخِ يدْوي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظاهرِ

«مَنِ الطارقُ السّاري خلالَ المقابرِ   فأقلقَ منّـا كلَّ غافٍ وسَـاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياءِ؛ والقلبُ خافقٌ   منَ الوَجَلِ الأخّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ

«أنـا الحيُّ لمّا يدرِ أسـبابَ خَلْقه   أنا المُدْلجُ الحيرانُ بـينَ الخواطرِ»

دلفـتُ إلى وادي المَنايَـا لَعلّني   أفـوزُ بسـرٍّ في حَنايـاه غائـرِ؟

أمـا تَعلَمُون السّـرَّ في خَلقِ عَالمٍ   يموتُ ويَحيَـا بينَ حـينٍ وآخرِ؟

وتَكْنُفُـهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَـتى المَخاطرِ؟

وليـس لَـه من غايـةٍ غـيرَ أنّهُ   مَسُـوقٌ إلى تحقيـقِ رَغْبـةِ قَاهرِ!

ضنينٌ بمَـا يَبغِيـه ليـس يُبيحُه   لسـائله عَمّـا وراءَ الظّواهـرِ

ومـاذا لقيتم بعد ما قَـدْ خَلَعْتُمو   قيـودَ الليالي الخادعـاتِ المَواكرِ؟

وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَـلْ يتجلّـى مـرةً للنواظـرِ؟

سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُـه، بينَ الشـكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنّ الهـولَ صوّرَ منظراً   تُجلّلُـه الأخطـارُ جَـدَّ غوامرِ؟

كذلك سَـادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ علـى أرواحِهـم والضّمائرِ

وأذْهَـلَ هَاتيك النفوسَ فخفّضَتْ   من البَهْـرِ[92] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوي كأنّه   يُحَدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِيِّ المَعَابرِ!

أيا وَيْلها تلك الحياةَ وأهلَها   تُكَشِّفُ عن بلوائِها كلَّ سَاترِ!

وتطلبُ أسبابَ الشّقاء لنفسِها!   فتضربُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!

لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا   وهَدَأ في أفكارنا كلُّ نَافرِ

نسينا سؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ   يردِّدُهُ حيرانَ في حَزَرِ حَازرِ

نسيناه فارتحْنا من الحَيْرةِ التي   خَسِرْنا بها الأعمارَ جَدَّ نواضرِ

وها أنت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً   ويا لكَ مخدوعاً بسرِّ المَقَابرِ!

وها نحن وَدَّعنا هدوءاً وهينةً   شريناهما بالعُمرِ، يا للخسائرِ!

أريْتَ لو أنَّ الهولَ صَوَّرَ منظراً   تجلّلُه الأخطارُ جَدَّ غوامرِ؟

كذلك سَادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ   ورانَ على أرواحِهم والضمائرِ

وأذهَلَ هَاتِيك النفوسَ فخفضتْ   من البهرِ والإعياء دَقاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحسرةٍ   ولهفةِ محرومٍ، وإعياءِ خَائرِ

لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ   يُعلله بالكشفِ عن كلِّ ضَامرِ

فألفى سَراباً ثمَّ لا يَنْقعُ الصَّدَى   فوا ندماً عن بحثه المُتواترِ!

فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى   ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْفَ السَّتائرِ

ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خطوهُ   فيَطْوي حَيا عُمره رِبْحَ خاسرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، ووَدَّ لو أنَ الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب   بكل مصابٍ فادحِ العبْءِ صَائبِ! [1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ   تُملُّ، ويَا بئْسَ الأسى من مُصَاحبِ!

وودّ لو أنَّ الدهرَ يُعْفِيه بُرهةً   من الغابرِ المملولِ جَمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ له الأقدارُ في أُمْنياته   على أنها لم تُصْغِ يوماً لطالبِ

وأعْفَتْه من ماضِيه حتى كأنّه   وليدٌ خَليُّ القلبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّنينَ الغَوارِبِ   ونَحّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ [2]

وعَادَ طليقاً لا يُعوِّقُ خَطْوَه   مَرّاسٌ؛ ولا يَثْنِيه خَوفُ العَواقبِ

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى … وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

وآضَ وليدُ اليومِ في مَيْعةِ الصِّبا … جديداً بدنياه؛ جديدَ المطالبِ[1]

بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى … وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جانبِ[2]

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوَانَ مُوحشاً … كما أُفْرِدَ الإنْسيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَاه في هذي الحياةِ كأنَّه … غريبُ عَرا، في عَالمٍ منْ غرائبِ[3]

وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا … إلى الأوجِ لم يُسْعِفْه عزمُ المُغالبِ

وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ … تَضاعفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمالَ عَرْجَاء لم تجدْ … لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها … ويُوسِعُها في شَكْوِه عَتْبَ عاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً … له – عوضاً من غابرٍ منه خائبِ

بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! … فيحيا على رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ له الأقْدارُ في أُمنياته … على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ!

وأعطتْه أنْقى صفحةٍ في كِتابها … لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأَ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٣- آداه: قوّاه وأعانه

٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً … لما مَنَحَتْه منْ عَزيزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسه … لذياك الماضي الذي لَمْ يُصَاحِبِ!

وأبْصَرَ بالآمالِ حَيرى كأنما … تَساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدَّ دائبِ

دَعَاهَا فلمّا أقْبلتْ من سَمائها … رأتْ غيرَه في غَفْلةٍ غيرَ رَاقبِ[1]

وما الأملُ «البسَّامُ» إلاّ رغيبةٌ … لنفسٍ ترى منْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضبِ»

* * *

فَعادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَها … عَلى رَجْعِ مَاضيه بحَسْرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التجارِبِ … وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ … من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ له الأقدارُ في أمنياته … على أنّها لَم تُصْغِ يوماً لِطالبَ!

وعَادَ إلى دُنْياه مِنْ بَعْدِ غُربةٍ … وألقتْ عَصَاها واستقَرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غفَا الكونُ فاسفري   وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري

سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكرَى   وهوَّم في جوفِ الدُّجى رُوحُ خيِّرِ[١]

يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا   ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ

وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها   عوالمُ في وادِي المُنى لم تُصوَّرِ

فلا صوْتَ إلا خَفْقةٌ من جوانحٍ   كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ

ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياة وأهلها   سوى طيفها السَّاري بوادِي التَّذكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفسي مِن عهودٍ سحيقةٍ   ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدي!

أُحِسُّك في أغوارِ نفسي ولا أرَى   مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشرَّدِ

علمتُكِ حتى أنتِ منِّي بُضْعةٌ   جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْهدِ

ويا طَالما أخلفتِ لي كلَّ مَوْعدٍ   ويا طالما ألقاكِ في غيرِ مَوْعدِ!

عبجتُ فكمْ مِنْ نفرةٍ تَنْفُرينها   على فَرْطِ ما تُبْدينه من تودُّدِ!

حديثُكِ من نفسي قريبٌ؛ وإنما   إخالُكِ في وادٍ من التِّيه سَرْمَدِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفسي، ما تُرى أنتِ؟ إنني   أريدُكِ في جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ

أعنصرُكِ الإيمانُ والطُّهرُ أصلُه   وإلا إلى الكفرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟

وفي أي وادٍ أنْتِ تسرين خِلْسَةً؟   ومن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهمِ؟

وكم فيك من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ   تَجاوزتَا في حَشْدِكِ المتزَحِّمِ

وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيكِ مَأملٌ   وكم من تَردٍّ، أو وثوبِ تَقَحُّمِ

وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةٌ   ومِنْ رُشْدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلمِ

* * *

خبيئةَ نفسي في ثناياكِ مَعْرِضٌ   لما لَقِيَتْهُ الأرضُ في الجَوَلانِ

وفيكِ من الآبادِ سِرٌّ وروعةٌ   وفيكِ صراعاتٌ بكلِّ زمانِ[١]

وفيكِ الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِه   وفيكِ الْتقَى الرُّوحيُّ والحَيواني

وإنكِ طَلْسمُ الحياةِ جميعها   وصورتُها الصُّغرى بكلِّ مكانِ[٢]

أبيني إذنْ عن ذلكِ العالمِ الذي   تضمَّنتِه من صُورةٍ ومَعَانِ

أبيني أُطَالِعْ في ثناياكِ مَا مَضَى   ومَا هُوَ آتٍ مِنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .

٢- الطِّلَّسْمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللّيلِ   تَمَشَّتْ كالحيَّةِ الرَّقْطاءِ

تُوقظُ الجِسْمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ   وتَطغى على الحِجَا والذكَاءِ

وَهْيَ من خشيةِ الضّميرِ توارَى   في زَوايا الميولِ والأهواءِ

فإذا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شعاعٌ   أَرْجَفَتْ منه، وانزوتْ في التواءِ

وإذا خيَّم الظَّلامُ تراءَتْ   في احتراسٍ من أعينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظةٌ تلك ثم خَيَّم صمتٌ   وظَلامٌ؛ فما تَرَى مِنْ ضِيَاءِ

فمضتْ تُضرِمُ الغريزةَ ناراً   وتُثيرُ الشُّواظَ بين الدِّماءِ

البِدارِ البِدارِ يا أيها الْجِسْـ   ـمُ شِفاءً من الطَّوى والظَّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنسان) حين تبدَّى   (حيوانٌ) ذو شِرَّةٍ نكْرَاءِ

وإذا بالخطيئَةِ السَّوْءِ نَشْوَى   بانتصارٍ، نالتْهُ في الظَّلْمَاءِ!

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطَّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فوّارةٌ من جهنم   تَسيل شَظَاياها، وتنضَحُ بالدَّمِ

هو القيظُ قد فازتْ ينابيعُ وَقْده   وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ

وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ   من الشمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ

فمَالَ إلى الرّاعي الشَّطوطِ قطيعُه   يَبثُّ رجاءً في ثُغَاءٍ مُتَمْتمِ

ونَاجَاه، ويحَ الظلّ إنْ نحن لم نَملْ   إليه، ويا بُؤْسَاه سَعياً لمَغْنَمِ!

عَيينا بهذا الضَّرْب في كلِّ حَرَّةٍ   وراءَ ذَمَاءٍ من شَرابٍ ومَطْعَمِ[1]

وما أنتَ — لو تدري — برابحِ صَفْقَةٍ   ولا نحنُ؛ إنَّا كلّنَا ذلك العَمِي!

نسيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى   سوى ظِلّنا، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ

يُسَخِّرُنا مَنْ لا نراه، لغايةٍ   يَراها، ولم نُؤْذَنْ بها أو نُفَهَّمِ!

فيا أيُّها الرَّاعِي هدوءًا وهَيْنَةً   إلى الظلِّ نَرْتَعْ لحظةً أو نُهوِّمِ[2]

فمالَ به الرّاعي إلى ظلِّ دَوْحةٍ   ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْوَلِ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللّظى … وثـــابَ إليها الظِّـــلُّ في غير مَعْجَلِ

وألْقَـــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجسـمه … وقد ضَافَه بالأيْنِ طـولُ التنقلِ[1]

وراغَ إلى المـاء القطيــعُ كأنما … تَدَهْدَهَ جرفٌ مـن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ

يَعُبُّ وَيستســقي بشــوقٍ ولهفةٍ … ويُفْعَــمُ ريًّـا مــن مُعــلٍّ ومَنْهلِ

فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً … وقد حَلَّ في أعضائـه كلَّ مَفْصلِ

فنامَ على الأعشاب، مَا إنْ تُرى له … رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ

توحَّدَ جسمُ الشّاءِ كالزَّرْد التقتْ … مَداخِلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[2]

كأنَّ شــاءَ ذياك القطيــع تَوَحُّداً … فأغفــلَ ذاك الرأسَ رمــزَ التعقلِ

ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُــهم … وما يَقتضيــه من طِمــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ … وجالــتْ به الأحــلامُ كلَّ مَجالِ

لقــد هبطَ الــوادي فَألْفَـــاه جنةً … بمـا فيه مــن خَفْضٍ وهَــدْأةِ بَالِ

ومـاءٍ غزيرِ النبع سَلْسَـالِ مَنْهلٍ … يَحُفُّ به عُشْــبٌ وفيــضُ ظِلالِ

ألاَ إنــه هــذا النعيــمُ ، وإنمـا … هي الجنــةُ الفَيْحاء خلــقُ خَيالِ!

وقد غادرَ الوادي إلى الغابِ، يالَه … من الخوف في هَــوْلٍ به وصِيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.
٢- الزَّرد: حلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حلق.
٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــشُ من كل فاتكٍ … قــد اختلطــتْ أصواتُــه كعَوالِ

وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها … زئيرُ أُســودٍ، أو فحيــحُ صِلالِ[1]

فهَــبَّ مَفيقــاً، يســتبين حياتَه … ليوقــنَ أن لم تَصطــدم بوبــالِ

فألفى قطيعَ الشــاءِ يدعوُ فصيلَه … إلى الثّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ

وأطرقَ يستوحي الرُّؤى ويحها الرؤى … إلى أين قد طافَتْ بـه غيرَ عَالِمِ؟

وأين مــن الوادي خُطَــاه؟ وإنما … لآ مأل رَاجٍ أو خيــالاتُ حَالِمِ !

وأين هــو الغابُ الرَّعيــبُ؟ وإنّه … ليهفُــو إلى مــاضٍ ســحيقِ المعالِمِ

لأعيــاه تَأوُيلُ الــرُّؤى ، غير أنّه … يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســمِ

فمــال على (أرغوله) يَستَجيشُــه … خواطــرَه بالذكريــاتِ الهوائــمِ

فرجَّــعَ أنغاماً من الغــابِ وزْنُها … وألحانُهــا نســمُ الرياضِ الحَوالمِ

فأوزانُهــا ذكــرى، وألحانُها مُنىً … كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ

وقد رقَّتْ الآصالُ وانسلّتِ الصّبا … وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ

فــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَــةٍ … ولــذّاتِ مَوهــوبٍ وآلامِ غارمِ

وغَشَّــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوَّمتْ … ونامــتْ كطفلٍ في الغِــرارةِ هَائمِ

* * *

١- الصِّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصِّلال.

على القمة*

نظرتُ إليها وهي شَمَّاءُ تذهبُ   كما لاَحَ في أفْقِ السموات كوكبُ

فأعجبني منها السُّموقُ وهَالَنِي   تَطاوُلُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ(١)

وطارَ خيالي فوقَها ووراءَها   يصوّر من أطيافِها ما تَغيّبُ

عجائبُ لَم تَخْطُر على البالِ مِثْلُها   ودُنيا من الأحلام تَزْهُو وتعجبُ

وقلت: سعيدٌ من تطاولَ كَفُّهُ   ذُرَاها وتدري عينُه ما تَحجبُ

دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْبِقُ الخُطَا   وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ

هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه   وتهفُو رُؤاه مغْرياتٌ وتَغْرُبُ

هو الشوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ   إليها فيرقى في الحياةِ ويَغلبُ

دَلفْتُ فلم أنْظُرْ إلى الخلفِ مرةً   وهل ينظرُ العَجْلانُ ماذا يُعَقِّبُ؟

وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُسْرَةٍ   وأنْسَتْني الأشواقُ أنّي مُتْعَبُ

هنا القِمَّةُ الشَمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا!   ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ

تأمّلْتُها فرحانَ أخفقُ نَشوةً   وأوشكُ أُغْذي سَنَاهَا وأشْرَبُ

وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْرَفُ بُقْعة   وأرْحَب أفقٍ في السماوات يَرقُبُ

وإنّكِ مِن فوقِ التلالِ طَلِيقةٌ   ولم يَبْقَ مَستورٌ عليك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّي هنا يا نفسُ جَدُّ سعيدةٍ   فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطري   وبي نَشْوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُبُ

فما رَاعَني إلاّ الزمانُ يَلُفُّني   إلى الضِّفَّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أينَ ؟ لاتَعجلْ رُويدكَ هَيْنَةً   فما هكذا تُطوى الأمَاني وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْزَى الذي جَدَّ جَدُّه   إلى القمةِ الشمّاء، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّفَ في ناءٍ من السَّفْحِ زَادَه   وما عَزَّه في ذلك الوعرِ مَرْكَبُ

رويدكَ يا هذا الزمانُ فإنني   من الهوّةِ الجَرداءِ أخْشَى وأَرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من السير فانطلقْ   إلى الخلفِ إنّي عَاذِرٌ لك مُعْتِبُ

تَأَلَّفْتُه يوماً فإنْ عُدتُ لم أَعُدْ   إلى غربةٍ تجفُو عليَّ وتَنْكُبُ

ولكنّه لم يُصْغِ لي في ضَرَاعتي   ومازال يَهْوِي بي ولا يَنْكُبُ

إلى الهوةِ الجرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ   إلى الهوةِ الجرداءِ فالدَّهْرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسستُ مَصْرَعَها بِنَفْسِي بينَ التأوُّهِ والتأسِّي

وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسِّي

هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأدْ لوكْسِ(١)

جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآن ذاتِ رضاً وأُنْسِ

نضجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنىً بغرْسِ

وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسّ

فهممتُ أدعوها دعاءَ الفنِّ في خطراتِ همسِ

شعراً يسّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ

وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخسِ!

يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما ورَعٍ ونَطْسِ(٢)

بيْنا نحُومُ عليه في تقْوى كما نَرْنُو لقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جاشَتْ بنفْسي تُثْوّى مُضَرَّجةً بحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طالعيني في كلّ يومٍ بوجْهٍ فلديكِ الوجوهُ شتّى طريفَهْ

وافجئيني لديك بالخطْر المحبو بِ يُجدّدْ حياتنا المألوفَهْ

بتُّ أشْتاقُهُ وأرقُبُ ماذا يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ!

كلَّ سَمْتٍ أراكِ فيه جميلٍ كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شفيفه

أنتِ ما أنتِ؟ عالَمٌ مُترامٍ أبْدعَ الفنُّ والمُنَى تأليفَهْ

أنتِ كُثْرٌ ففيكِ تحْيا طُيُوفٌ كلُّ طيفٍ له رُؤاهُ المُطيفَهْ

تارةً أنتِ حرَّةٌ أصْطَليهَا وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَريفَهْ

وتَلُوحينَ قِطْعَةً من حَنانٍ وتَلُوحينَ بعْدَ حينٍ مُخيفَهْ!

وأرى فيكِ طِفْلةً لم تبارحْ مَلْعَبَ الطِّفْلةِ. اللّعوبِ الخَفيفَهْ

وإذا أنتِ قَهْرَمانةُ دهْرٍ مُوغِلٍ في المَسارِبِ المَلْفُوفَهْ(١)

وإذا ما انطويتِ أمسيتِ سِرّاً صانَهُ الدّهْرُ مُحْكِماً تَغْليفه

وإذا ما انطلقْتِ مثلَ شُعاعٍ كنتِ رقْراقةً وكنتِ لطيفَهْ

لكِ طَعْمٌ أذوقُهُ بل طُعُومٌ كُلُّها ناضجٌ هويتُ قُطوفَهْ

هو طَعْمُ الحياةِ في فَوْرَةِ النُّضْجِ شَهِيُّ الجَنَى خبِرْتُ صُنوفَهْ

* * *

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١- قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّـلام الأمـينِ تَحـدَّري يَـا سَـفِيني
وَجَانـبي كلَّ نُـورٍ النُّـورُ يُـؤذِي جُفُونـي
لَقَـدْ حَطَمْـتُ شِـرَاعِي ومِجْدَفِـي ويَمِينِـي
وهَـدَّ عَزْمِـيَ مَـوجٌ يَثُـورُ كالمَجْنُـون
أخْشَـاه أخْشَـاه جُهـدِي فَحَـاذِري يَـا سَـفِيني!

* * *

طَـالَ الصِّـرَاعُ ونَـاءتْ نَفْسِـي بِعِـبْءِ السِّـنين
أُرِيـدُ وَقْفَـةَ أمْـنٍ في مَجْهَـلٍ مَأمُـون
أُزِيـحُ فيـهِ قَليـلاً عَـن عَاتِقـي المَوْهُـون
وأسـتريحُ رُويـداً مـن الصِّـراع الحَـرُون[1]
وقـد أُعـاوِدُ سَـيْرِي في اللُّـجِّ أزجـى سـفيني

* * *

إلى الظـلام الأمـينِ إلى مَـلاذِ السُّـكون
طَـالَ التيقُّـظُ حتّـى أعْشَـى السُّـهادُ عُيونـي[2]
إلى المَسَـارِبِ فَامْضِـي لأنْـزَوِي عَـن شُـجُوني
وعَـنْ رَجَائـي ويَأسِـي وكلّ مـا يَعْنِينـي
الانْـزِوَاءُ مُريـحٌ فَأوْغِلـي يَـا سَـفِيني

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.
١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.
٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق*

قِفْ بنا يا حَادي العمرِ هُنا لَحْظَةً تَنْظُرُ مَاذَا حوْلَنا
في طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنا فيه أشلاءَ حياةٍ ومُنَى

* * *

قد نَثَرْناها على طَولِ الطريقْ ومَضينا ضِمْنَ قُطْعانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقْ مُغْمَضَ العينين يَسْرى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَلامِ الغَيبِ تَخطُو قَدَماه لظلامِ الغيبِ تَنْسَاقُ خُطَاه
في طريقٍ غامضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِفُ الحادي فيمضي مُذْعِنا

* * *

لَهَفَةً لو عُدتُ أرْعَى خُطَواتي في طَرِيقٍ دَرَجْتُ فيه حَيَاتي
فَتَطَلَّعتُ إلى هذا الشَّتاتِ وأنا في الكَرَّةِ الأُخْرى أنَا!

* * *

لَتَمَلَّيتُ شِيَاتي وسِماتي وأمَانيَّ ويأسي ورَجَاتي[2]
وحَمَاقَاتي ورُشْدي وهَنَاتي والهوى الحَاني الذي ظَلّلنا

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١- المَوهنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.
٢- شياتي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عاهَـدتُ أن أقْضِي عُمري   وأنـا أُخْلِصُهـا سِـرّى وجَهْري

وإذَا السّـوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهري   حيثُ لا أسْـتطِيعُ رَيْثـاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَـالُ والآلامُ خَلْفِـي   سَـاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيـدي وخُلْفي

مُلْقَيـاتٌ بـينَ إهمـالٍ مُسِـفٍّ   لم أُوَدِّعْهـا. فيـا وَاحزَنـا![2]

* * *

أيُّهـا الحَـادِي ألا فامـضِ بنَا   قـد أثـارتْ ذِكْرَياتي الشّـجَنَا

لم نعُـدْ نجـزَعُ لو تحْـدُو لَنَا: «نحـن لا نرْجـع يوماً هـا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أسَفَّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلُّع إلى جديد:

أنْـتَ أوْغلتَ في الظـلامِ طويلاَ   فمتى يـا رفيـقُ تبغـى القُفولا؟

شـدَّ ما آدَنَا التخبُّـطُ في الليلِ   وخِفْنـا ظلامَـه المدخـولا![1]

ورأينَـا الأوهامَ تبدو شـخوصاً   ورأينا الشـخوصَ تبدو هَيُولَى[2]

وَخَبَرْنـا فلـم يُفِدْنـا اختبـارٌ   وسَـخِرْنَا ممَّـا خَبَرْنَـا طَويـلاَ

يـا رفيقـي. إذا قَـدَرْتَ فأوِّبْ   إن هـذا الظـلامَ يُضْنِـي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـى الضيـاءَ أُبْصِر فيها   ذكريـاتي تبدلـتْ تبديـلاَ

أنا أخْشـى النَّهار يكشِـفُ عني   كلَّ وَهْـمٍ أرُودُه تعليـلا

أنـا يا صاحـبي أُشِـيحُ بوجهي   أنـا أرى عهْدنـا تَـرَدَّى قتيلا

أنا يَـا صَاحِـبي أُدافِـع عَقْلِي   أنْ يَـرُودَ الْيَقِـين جهمـاً ثَقِيلاً

الظَّـلامُ الظّـلام أرْوَحُ للقلبِ   ولـو كان لا يُريـح العقـولا!

* * *

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيقُ. الحَيَاةُ أَسْمى وَأَغْلى   أن تُقَضّى كَذاك وهماً ضئيلاً

يا رفيقُ. الحياةُ أقصرُ عهداً   أن تُضحّى ساعتها تخْييلا

أُبْ من الظّلمةِ الحبيبة واهجُرْ   كلّ ما كان في الحياة الأولى

وتطلّعْ إلى جَمالٍ جَديدٍ   أفلم تَلْقَ في الحياة جميلاَ؟

عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياة   مُسْتثارَ الإحساسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يا صاحبي أتجهلُ أنّي   أفقدُ الدّارَ إنْ فقدتُ الطّلولاَ

ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رَصيدي   كلّهُ لم أُبْقِ منه قليلاَ

أتراني أُجدّدُ الذُّخر والعُمـ   ـرُ مُوَلٍ والجَهْدُ أمسى هَزيلاَ؟

أنا باقٍ هُنا فإن شئتَ دَعْني   ورُدِ الْكَونَ حافلاً مَأهُولا

أنا باقٍ هُنا أرُودُ طُلُولي   لَم أعُدْ بَعدُ أستطيبُ القُفولا!

* * *

أقدام في الرمال *

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟   وخيالٌ سَارِبٌ إثْر خيالْ

في متاهاتِ وجودِ لزوالْ   كبقايا الخطو في وجه الرِّمالْ

زُمَرٌ تَدْلفُ في إثْرِ زمَرْ   وَيْحَ نفسي ! إنه ركبُ البشر

مغمضُ العَيْنَيْن في كَفِّ القدَرْ   كلّما أوْغَلَ في التِّيه انْدَثَرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيّانَ سَارَا؟   ما أرى في إثْرِه حتّى غُبَارَا

ما أرى قبراً وما أُبْصِرُ دَارَا   ضَلّةً لي! ذاكَ ظِلٌّ وتَوَارَى[1]

* * *

مِنْ ظَلامِ الغيبِ في التيهِ البعيدْ   لظَلامِ الغيبِ في التيهِ المديدْ

وَمْضَةٌ كالبرق تجتازُ الوجودْ   ويُسَمِّيها بنُو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَةٌ رَاقتْ لأبناءِ الفَنَاءْ   حينما أعْيا على الأرضِ البَقَاءْ

المساكينُ هَبَاءٌ في فَضَاءْ   رَحْمَةً للذرِّ في مَسْرَى الهواءْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٦
١- الضّلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحــسُّ الوافدين   أو أرى الأرضَ تَحــسُّ الرَّاحلينْ

كلُّ مَـــا كَانَ وما ســـوف يَكُونْ   نَأمَةٌ تَهْجسُ في جَوْفِ السُّـــكُونْ

* * *

خَطَـــواتٌ ذاهبـــاتٌ في الرِّمَالْ   وخيـــالاتٌ تَـــرَاءَتْ لخيـــالْ

وشُـــخوصٌ تتـــوارى كظـــلالْ   للزوالِ... كلُّ شـــيءٍ للـــزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَـــالَمك الزمانُ ولا أنَا   لا أنْـــت داعيةٌ ولا أنا مُسْـــتَجيبْ

هـــذي مَياســـمُه على قَسَـــمَاتنا   قَـــرَّتْ أمانينا على الأُفـــقِ القَريبْ

ودَبيبُـــه ينســـابُ في خَطَرَاتنـــا   ويَكْشفُ الوهمَ المُغْلَغلَ في الغيوبْ

ويَدَاه تَنْسَـــلُ من خيـــوطِ حَياتنا   وبدوت عاريةً مـــن الألَقِ العجيبْ

ويَـــدُ البِلى تَطوي الرغائبَ والمُنى   وبدوتِ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ   ألقـــاكَ كالذكرى تَمـــرُّ بخَاطرِ

مَا نَشوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟   كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ[1]

مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـــحِ بالفتونِ؟   كالرســـمِ يَبْهتُ لا يَبِـــينُ لناظرِ

ما اللهفـــةُ الكبرى تُراودُ في جنونِ؟   كبصيـــصِ نارٍ في الرمـــادِ الفَاترِ

مـــرَّتْ عليها كُلّها كَفُّ الســـنينَ!   وَيْحي ووَيْحُكِ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ   ويَحْي وويحُك ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟

وتوَفُّـــزُ النَظَـــراتِ في ألَـــقٍ مُثيرِ   خُـــدَعٌ تُهَدْهدُنا بهـــا الأمُّ الولودْ

وتَوثُّـــبُ اللفتـــاتِ في لَهَفٍ حَرورِ   ويدُ البلى تَطْوي القديمَ على الجديدْ

وتُقَلُّـــبُ الرَّغَباتِ في قَلَـــقٍ غَريرِ   والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]

ويَحْي وويحُكِ قـــدْ تَعَاروَها الفُتُورُ   والنـــاسُ والأيـــامُ والدُّنيـــا عَبيدْ

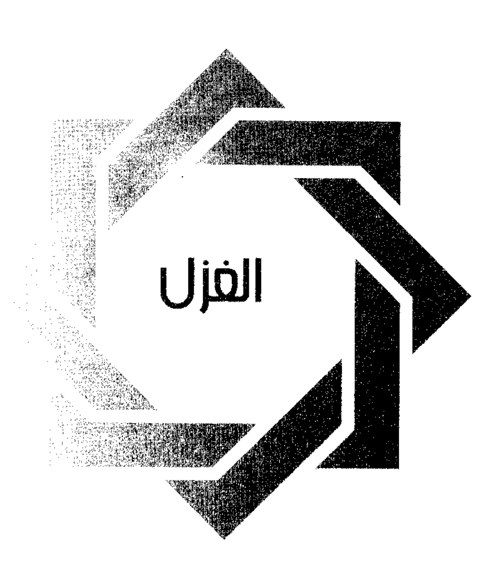
* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.



هيَ أَنْتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفِي حناناً

وهيَ تهفُو في ظِلها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليلاتُ ذَاهبةٌ   كغَمْضَةِ العينِ في أضْغَاثِ أحْلامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً   تجيشُ بالحبّ عَن وَحْيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلقَ الأرواحَ شَاعرةً   دقيقةَ الحسّ في رِفْقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصرُ ليلاتي وأخْلَدُها   وأنتِ أَزْهَرُ سَاعَاتِي وأيامي
فيكِ التقينا فلا إثمٌ ولا حَرَجٌ   في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسّامِ
ورُوحٌ من الحبّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا   حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النّامي
ويُنْشِدُ الحبُّ أنغاماً يُلحّنُها   لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطقِ السّامي
بالليلِ يَتلو على الأكوانِ آيتَه   ما أبدعَ الليلَ في شَدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يا ليلةَ الأمسِ هَلا أنت عائدةٌ   إلى الزمانِ فَأنْسَى كل آلامي
إنّي لألْمَحُ طيفاً منْك يُؤْنسُني   في وَحْشَتي بينَ أيقاظٍ ونُوّامِ
ذكراكِ باقيةٌ مهما يَطُلْ زَمني   فأنتِ زهرةُ أيامي وأعْوَامي
فيكِ أوّلُ آمَالي وآخرُها   وأنتِ مَنْبَعُ إمدادي وإلهامي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات   كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ   مُذْ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟
أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة   ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلمَ . آهٍ   إن يكن هذا فما أقسى القَدْرِ!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفراق   ملؤها العطف وريّاها الوفاءْ؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق   وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شدَّ ما ألقاه في هذا النّوى   من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعرُ النفسُ الجوى   فَتلظّى في شُعورٍ كالجحيمْ
ليتني أدْري – وإن لم يُشْفِني –   كيفَ أُبْدي مَا بنَفْسِي مِنْ ألَمْ!
ربَّ إحساسٍ أليمٍ شَفّني   لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلمَ الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ   وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ   ودموعٌ ساكباتٌ تَنْهَمِرْ
أتُرى آلمُ للقلبِ الكَليم   مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ   يتركُ القلبَ قِفاراً مُجْدِبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِن ديرٍ كئيبٍ   في فَلاةٍ لا يُدانِيها البَشَرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.
١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.
٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.
٣- شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيحُ تَحميه الهبوبَ   دَقَّ نَاقوسٌ بهِ عندَ السَّحَرْ؟

ذاكَ قَلْبي بعدَ فُقْدانِ الأملِ   مُوحِشٌ يَطْرقُه صوتٌ سَحيقْ

تبعثُ الذكرى صَدَاه إذْ تُطلُّ   مُشْجياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ

ما الذي كانَ وماذَا سَيكُونْ؟   لستُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!

لَيتني أدري خَبيئاتِ السنينْ   إن فِراقاً أو يَكُن بعدُ اقترابْ

إيه يا ملءَ فُؤادي ومُناهْ   إيه يا رمزَ الأمَاني والأملْ

يا نسيماً ضَمَّ أنْفَاسَ الحياةْ   نَفْحَةٌ تُهْدي إلى مَيْتٍ أجَلْ

أنا إذ ألْقَاكَ عَفْواً لا أُحسُّ   فِيكَ جِسْماً كبقيات الجُسُومْ

إنما ألقاكَ طَيفاً لا يُحَسُّ   طائفاً يَهفُو كما يَهفُو النَّسيمْ

في خَيالي أنتَ أنقَى وأرقُّ   أنتَ رُوحُ فيه أو طيفُ مَلَكْ

بجناحَيه تَراءى فخفقَ   بسناءٍ هادئٍ يُغري الحَلَكْ

أفَلا لُقْيا بثغرٍ بَاسمٍ؟   أفلا قلبٌ أُناجيه سَميعْ؟

أفَلا شَكْوى فؤادٍ هائمٍ؟   أفلا نَجْوى بِصَمتٍ وخُشُوعْ؟

«بحَياتي أفْتَدي هذا اللقاءَ»   وأمانِيَّ وما ضَمَّتْ يَدَاي

وبنَفْسي لو دَنا عهدُ الرِّضَاءِ   فَمَحا بُؤْسي وأوْدَى بجَواي

وأوَى قلبين في بُرْدِ الوَفاءِ   مثل ما كانَا شَقيقَيْ مَوْلِدِ

ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ   فلأمُتْ أو أبقَ خِلْفَ الكَمَدِ

* * *

طيفا!!*

هو هذا أنتَ يا طيفُ؟ فَأهلاً   مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَهْلاً

* * *

هَوَّمَ النَّومُ وأرْخَى رِيشَه   واحتَواني بجَناحٍ قَد تَدلَّى

وانزوى العَالَمُ عنّي وخَبَتْ   ضَجَّةُ الكونِ وما فيه وَوَلَّى

ها هُنا في النومِ ألْقَى عَالَماً   هَادِئاً رَحْباً وبَسَّاماً مُظِلاَّ

وتَراءى الطيفُ سَمْحاً رَاضِياً   بَاسِماً كالأملِ الحُلوِ وأحْلَى

هُو هذا أنتَ يا طيفُ؟ فأهلاً   مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاستمعْ لَحْنَ فُؤادي   إنّه لَحْنٌ يُغَنّيه بَديعْ

* * *

إنَّه عنوانُ حُبٍّ ووِدَادٍ   وهَيامٍ بين أحْناءِ الضُّلُوعْ[1]

إنَّه أنْشُودَتي أخْلُو إليها   بينَ صَمْتٍ وهَيامٍ وخُشُوعْ

إنه لَحنٌ أُغَنّيه وَقلْبي   خَافقٌ والعينُ تَهْمي بالدّمُوعْ[2]

أدْنُ مِني فاستمع لَحْنَ فؤادي   إنّه لحنٌ يُغَنّيه بَديعْ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

١- أحناء: الأضلاع

هاك قَلْبِي فتسمَّعْ خَفقاتِه   فهو قَلْبٌ مُسْتثارُ الخَفَقاتِ

* * *

بَلِّلِ الْوَجْدَ وهَدِّىء زَفَرَاتِه   فهو قَلْبٌ ضَيقٌ بالزَّفَراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي   بعد ما قَدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشكاة

هاكَ قَلْبِي فتسمَّعْ خَفقَاته   فهو قَلْبٌ مُسْتَثارُ الخَفَقاتِ

* * *

أنْتَ يا طيفُ ويا رَيَّا حبيبي   أنتَ رُوحُ أو رَمْزُ السَّلامِ

* * *

لك مِنّي كُلُّ مَعْنى قُدْسيّ   يَهْمِسُ الحبُّ بِه بينَ الأنامِ

أنتَ يا طيفُ ويا رَيَّا حبيبي   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّلامِ

* * *

صوت؟! *

تُذَكِّرُنِي الماضِي فآسى لِذكْرِه   وتُوقظُ أشْجَانِي وقد كنتُ نَاسيًا

وتُلْهِبُ إحسَاسِي بأنغامِكَ التي   تحدِّثُ عن قلبي إذَا أنَّ باكيا

حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى   فخلَّفَه نِضْواً من الهمِّ واهيًا[١]

تُهيجُ بِه الأنغامُ آلامَه التي   تحمّلَها بالرغم أسْوانَ رَاضيًا!

تحمَّلها لم يَشْكُ للناسِ ثِقْلَها   وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شاكيًا

* * *

تُذَكِّرُنِي حُبًّا قديماً دفنتُه   ونفضتُ كَفِّي يائساً منه آسيًا

ورحتُ أواري كلَّ آثاره التي   تَراءى فَتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خابيًا

بعثتُ به حيّاً يُطِلُّ وينْزَوي   ويفتحُ أجْفَاناً مراضاً سَواهيًا

يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها   تُمَزِّقُ أشتاتاً وتبدُو بَواليًا

هو اليَومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه   فلا هو مَعْدوماً ولا هُو باقيًا

هو اليومَ آلامٌ وقد كان مُتْعةً   ورُوحاً ورَيْحاناً وطَيْفاً مُناغيًا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما   بعثتُ به صوتاً من الثغرِ شَاجيًا

وجَاشَ به صدرُ الحياةِ فرجَّعَتْ   أغاريدَه كالنُّوحِ أسْوَانَ دَاويًا

وحدَّثْتَنَا عما أكَنَّتْ نُفُوسُنا   فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَاهيًا[٢]

تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا   ونُمْسِكُ أكباداً تَنَزَّى دَواميًا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت: محمد بخيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢-أكنّت: أخفت.

هي أنتِ *

هي أنت التي خُلِقَتْ لنحيَا   في ظلالٍ مِنَ الوفاءِ الرشيدِ؟

كحياةِ الأرواحِ تُضفِي حناناً   وهي تهفُو في ظلّها الممدودِ؟

حيثُما الحبُّ طائفٌ يَتراءى   كالملاكِ المهوّمِ المَكْدُودِ

حَاني العطْفِ إذ يَضمُّ علينا   ضمةَ الأمّ رَحْمَةً بالوليدِ

فإذا الكونُ والحياةُ جمالٌ   وإذَا العيشُ فُسْحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْتِ التي أطافتْ بنفسِي   وتراءتْ في خَاطري مِن بعيدِ؟

حينما كنتُ هائماً أتلقى   أغنياتِ الآمالِ شَتّى النشيدِ؟

في ظِلالٍ مِن الأماني تَترى   بين وادي التعلّةِ المعهودِ![1]

إذْ تراءَيْتِ هَالةً مِنْ رجاءٍ   هَادئٍ لَيّنٍ رفيقٍ وَئيدِ[2]

ثم دَانَيْتِ في دَلالٍ وديعٍ   ثم باعدتِ في دلالٍ شَرودٍ؟

* * *

هي أنتِ التي تلاقيتِ رُوحاً   مع روحِي فَهَامتَا في الوجودِ؟

هي أنتِ التي تُحَدّثُ عنها   خَطَراتي، في يقظتي وهَجُودِي؟

* نشرت عام ١٩٣٠

١- التعلة: ما يُتعلل به.

٢- وئيد: متمهل.

إن تكُوني! إذْنْ فهاكِ فؤادي   كلّه خالصاً نقيَّ العهودِ

وتعالَيْ نَبْغِ الحياةَ جِهاداً   عبقريَّ التصويبِ والتَّصعْيدِ!

شَجّعيني على الجهادِ طويلاً   فجهادُ الحياةِ جِدٌّ شديد

أشْعريني بأن قلباً نقيًّا   يَرتَجي سَاعِدي ويهوى وُجُودي

ثم سِيري معي نَخُطُّ طريقاً   كمهادٍ في الصَّخرةِ الجُلْمُودِ

نظرةٌ منكِ وابتسامةُ حُبٍّ   تتركُ الصَّعْبَ لَيّناً كالمُهودِ

لكِ مني عَواطِفي وعُهودي   لكِ مني رعايتي وجُهودي

* * *

أحبك *

أُحبكِ كالآمالِ إِذْ أنتِ مِثْلُها   تُذَكِّين في نفسي أعزَّ مَواهِبي[1]

وما هِي إلا نظرةٌ شاعريَّةٌ   تعبِّرُ عما شئتُه مِنْ رَغَائبِ

فَتَسْرِي إلى نَفْسِي مَضَاءً وجَرْأَةً   ووثبةَ حسَّاسِ. وَعزْمَةَ راغبِ

ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْرِي كأنَّه   نشيدُ مَلاكٍ هَائمٍ مُتَقَارِبِ

يعيدُ إلى المكدودِ راحة نفسِه   ويبعثُه خَلْقاً جديدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الذي أنْتِ مِلْؤُه   ومِنْ كلِّ إحساسِ بِنَفْسِي ذَائبِ

فُؤادِي الذي فَتَّحْتِ فيه مشاعراً   من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهِبِ

سموتُ به حتى تكشَّف دونَهُ   عوالمُ أقرى تائهاتِ الجوانبِ

عوالمُ لاتعد ولقلبٍ منَصَّبٍ   بلا ذلك القلب الرفيق المصاحب

بها كلُّ لذاتِ الحياةِ ودونها   لِذائذُ أُخْرى كاذباتِ العَواقبِ

* * *

أُحِبُّك إِذْ تَرجِين مَنَّ رعايةً   وتَهْوِينَ ساعاتِ الحياةِ بِجَانِبِي

هنالك نَسْمُو بالحياةِ فنَرْتقِي   إلى كَنَفٍ بينَ السمواتِ ضَارِبِ

هنالك نَحيا والأمانيُّ حَوْلَنا   تُغَرِّدُ ألحانَ المُنى والرغائبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.

١ – تّذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطرا!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحيِيه...!

أفأنتِ ذِي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟   إني أراكِ كطائفِ الأحلامِ !

لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطِري   ألفيتُ شَخْصَكِ كالملاكِ أمَامِي

فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فَتَضَرَّمَتْ   خَفَقاتُ قلبي المُنتَشِي البَسَّامِ

عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري   بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي

إنِّي لأُومِنُ بالغرام وإنّه   يَقْوِي على مُتَعَذِّر الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِي وخَواطِري   لَمَّا لَقِيتُكِ كالخيالِ السَّامِي ؟

أَفَأَنْتِ سَاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى   نوراً، وتبعثُ في الحياةِ حُطامي ؟

وتُحيلُ صُمَّ القافراتِ نَوابضاً   بالزهرٍ ، والآمالِ والإلهامِ ؟![1]

وتُجَمِّلُ الدُّنيا وتَخْلُقُ عَالَماً   للخُلْدِ فيه مَدارِجٌ ومَسَامِ ؟

الله ! . أو فالحبُّ . فهو ظِلالُهُ   في عالمِ الأوهامِ و الأفْهامِ !

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقـــاءِ ! فكيـــفَ قـــد حَجّبتِـــه   عن نفسٍ منهـــومِ العواطفِ ظَامِ؟

هو هـــذه الدُّنيا وعَالَمُ سِـــحرِها ؟   هو ذلكَ النبعُ الجميلُ الطَّامِي؟[1]

حَجَّبتِـــه عنّـــي، فأســـفَر بغتـــةً   بيـــدٍ تجـــيء بِمُعْجِـــزِ الأيـــامِ !

الحـــبُّ ؛ ياللحـــبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى   مـــن غـــيرِ تدبـــيرٍ وغـــيرِ نِظَامِ!

إنِي وَثِقْـــتُ بـــه ومـــا هُـــو باخلٌ   بـــكِ يا ســـعادُ بيقظـــتِي وَمَنامِي

* * *

1- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِـــرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهِم ؟

إلى مَخْبأ الأسْـــرارِ في نفـــسِ كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أســـتارُ دُجْوان مُظْلِم[1]

إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْـــمُه   وغيَّبَه النِّســـيانُ في تِيه عَيْلَم[2]

إلى القابـــلِ الآتِيَ الـــذي نَـــدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّمِ

إلى حَيثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها   على خِفْيـــةٍ من وهِمـــه المُتَوهِّم

إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي   تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لَأَحْسَسْـــتُ فيها رِعدةً[43] إذْ تَوجَّهَتْ   وَدَبَّ لهـــا قلْـــبي وأَنكَرَها دَمِي

وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها   عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتَوهَّـــم

* * *

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.

٢- عيلم: بحر.

حدثيني *

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيـــني بِمســـتَار شُـــجُونِكْ   واكْشِفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شؤونكْ

حَدّثيـــني بمـــا تُكِنّيـنَ إني   أنـــا أولى بعبئـه مـــنْ دُونِـكْ

أنـــا أقْوى على الحياة إذا عِشْـــتُ   حَياتـي مُـزَوّداً مِـنْ يقينِـكْ

ولقـد عِشْـتُ للمآسي إلى أنْ   قَدْ عَرَفْتُ السُّـرورَ مِـنْ تَلْقينِكْ

ولقـد عِشْـتُ للبـكاء إلى أنْ   قد سَـمِعْتُ الغِنَـاء في تَلْحِينِكْ

ولَقَـدْ عِشْـتُ للظـلامِ إلى أنْ   قَدْ لَمحْـتُ الضّياءَ بـينَ عُيونِكْ

* * *

حَدّثيـني عَـنْ سِـرّها نَظَرَاتٌ   أو دُمـوعٌ تَجُـولُ بـينَ جُفُونِكْ

حَدّثيـني عـن الأسـى يَتَراءى   كأسـيفِ الرّجَاءِ فـوقَ جَبينِكْ[1]

أو تَعالَـيْ لذلـك الكَنَـف الحا   نـي عليـك وارْكَني لِسـكُونِكْ

هُو أَحْنَى عليك مِـنْ قَلْبِها الأمّ   وَأَدْرَى مـن قلبْهـا بحَنينِـكْ

فاغْمُـري في عُبَابِـه المُترامـي   مَا مَضَى عَنْك أو أَتى مِنْ شُجُونِكْ

وَابْعثيهـا ابتسـامةً وحيـاةً   مِلْؤها السِّـحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخاصَمْنـا. تخاصمْنـا ! كذلـك يعبثُ الحـبُّ !

ألـيسَ الطّفـلُ إذْ تَنْـزُو قُـواه يَهُـمُّ أو يَكْبُـر؟[1]

أَلَيْـسَ يُحطّـمُ اللُّعَـبَ الــتي كانَ لَهـا يَصْبُـو؟

ألـيسَ يَهـزُّه الصّخَـبُ ويَحْلُـو عِنْـدَه الوثْـبُ؟

كذلـكَ حُبُّنـا يَحيـا وَليـداً جِـدُّه لعِـبُ!

* * *

تَخاصمْنـا. تخاصمْنـا وإنْ لَـم يَسْـمَعْ القلـبُ!

أليسـتْ لا تُحَيّينـي ولا يسـليني القُـرْبُ؟

ألسـنَا إنْ تلاقَيْنـا نَغُـضّ وتُسْـدَلُ الحُجُـبُ؟

وَمـا قُبلاتُنـا تَتـرى ولا الرُّسُـلُ ولا الكُتُـبُ

كـذاكَ نَعيـشُ في صَمْـتٍ فـلا غَـزَلٌ و لا عَتْـبُ

* * *

تخاصمْنـا. خُصومَتُنـا سـلامٌ ثوبُـه حَـرْبُ!

سـلامٌ بـينَ قَلْبيْنـا فـكلٌّ هائـمٌ صَـبُّ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزو: يثب بنشاط.

ونَخْسـَـرُ في مَظاهِرِنـا ومِـلْءُ وِطَابِنـا كَسْـبُ !
ونَظْمَـأُ إن تَنَاءيْنَـا فَيحلُـو الْـوِردُ والشُّـرْبُ
وتَذْكُـو للهَـوى شُـعَلٌ فـلا تخنـو ولا تخبـو
كذلـك حُبُّنَـا يَحيَـا كذلـك يَعْبَـثُ الحُـبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُـو قلـبٌ لَمَسْـتِه، أَمْ(بيَانهُ)؟ فَتَنَـادتْ مِـنْ جَوْفِـه ألحَانُـهُ
هو قلـبي أجَـلْ فهـذي الأغاني هُـو يَشْـدُو بهـا، وذا تَحْنَانه
أم تُـراه – كمـا أرْجـو- فؤادٌ بـينَ جنبيـكِ مُلْهَـمٌ خَفَقَانُـه
فتلاقـى القلبانِ في ذلـك اللحن وحَاكـتْ خفقاتِهمـا أوزانُـه
وتَـراءى في اللحن طيـفُ الأمَاني مُطْبَقَـاتٌ على الـرؤى أجْفَانُه

* * *

لَحْـني أنتِ خَفَـقَ قَلْبي نشـيداً أنْتِ أدْرَى بِما حَـوى وِجْدَانُه
والْمَسِـي بالحنـانِ قَلْبي فَيشـدُو مثْلَمَـا تَلْمَـسُ البنـانُ البِيَانُـه
بَـلْ فَـؤادي مُلَحّـنٌ عَبْقَـريٌّ ! لَحْنُـهُ منْـه قِطْعَـةٌ وبَنَانُـه
ألْهِميـه النشـيدَ وهـو يُغَنّـي لـكِ وادِي الخلودِ سَـامٍ حَنَانُهُ
ألْهِميـه النشـيدَ وهـو يُجَلّـي لـك وادِي الخلودِ زُهْـرٌ جنَانُهُ
أطلقيـه مِـن القيـودِ بلَحْـنٍ قَدْ تَسَـامى على القيـودِ افْتِنَانُهُ
ودّعيـه يَطِـرْ دونَ جَنَـاحٍ غـيرَ حـبٍّ يَزيـدُه طَيَرَانُـه

* * *

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤
١- البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بعَيْنَيْك أُبصِرُ رُوحَ الظّماءِ   وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القلَق
ففي الخَطَرَاتِ، وفي اللّفَتَاتِ   وفي النَظَرَاتِ، وبينَ الحَدَق
يُطِلُّ التلهفُ في وَثْبَةٍ   وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَى المُحْترِق
لأيٍّ من الأمرِ هذا التَطلُّع   هذا التوثُّب، هذا الحَرَق
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟   من الحبّ محمرةٌ كالشَّفَق؟

* * *

أُحسُّ بأنّك مَلْهُوفَةٌ   لأن تَنْهلي كلَّ مَعْنَى الغَرَام
وأن تَنْهبي النورَ من فجره   وأن تَسْلُبي زَفَرَاتِ الظّلام!
وأن تَقْطفي كلَّ زَهرِ الحياةِ   من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسام
تَفَتّح فيكِ شُعورُ الحياةِ   فَشَقَّكِ منهَا الهوى والأُوَام[1]

* * *

إلَيَّ إلَيَّ؛ ولا تَجْفَلي   فإنِي ظمئتُ لما تَظْمَئين
و أحسبُنِي كنتُ أَهْفُو إليك   كما كنتِ لي في المُنى ترقُبينْ
وشَطَّتْ بنا بدواتُ اللّقاء   وضَلّتْ بنَا خُطَواتُ السّنينْ
إلى أَنْ لقيتُك فتانةً   فحرّكْتِ مني اشتياقِي الدَّفينْ
تَعالَيْ نروِّ ظِمَاءَ السنينِ   تعالَي نَعِشْ للمُنى والفتُون

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟ *

أُحبُّك حُبَّ الهوى والجُنون   أحبُّك حبَّ الرَّشَادِ الرَّزينْ
أحبك بالقلبِ في وَقْدَةٍ   أحبك بالعقلِ جَمّ السُّكُونْ
وتَبدينَ في قلبي المستطارِ   كما تُسْفرينَ بفكري الرَّصينْ[1]
ففيك تَلاقَى الهوَى والهُدى   وشَابَه فيك الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدهانِي بجي الفتون   رَكَنْتُ بِه للحجَا واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ؟ هل تفكرينَ؟   وما السرُّ في الأمرِ؟ هل تعلمينْ؟
أللحُسْنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ   فَما هجْنَ بي وَمْضَةً من حنينْ
أللعطفِ؟ إني القَويُّ العطوفُ   فما أرْتَجي رحمةَ العاطفينْ
أللنظرات وللّفتاتِ   وللسّحرِ في مُهْجَتي تَسْكُبينْ
وشتى الخلالِ وشتى السّماتِ؟   لقد طالَما اجتمعتْ للمئينْ[2]
إذَنْ فلأيِّ المزايا يكونُ   هَواي وحُبِّي؟ هَلْ تُدْرِكِينْ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .
٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمي الآنَ عِلْمَ اليقين   سأكْشفُ عن سِرِّ حُبِّي الدَّفينْ

لقد لَجَّ بي قبل هذا، السكونِ   وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزينْ[1]

وقد عشْتُ للجدِّ، جدِّ الرصينِ   أهُمُّ وأكبُو بعبءِ السِّنينْ

إلى أنِ لَقيتُك خَفَّاقَةً   تَوَقَّدَ فيك الهَوى والفُتُونْ

فأنتِ هُنا جمرةٌ كاللّظى   وأنتِ هُنا شُعْلَةٌ تومضينْ

فأكمَلَ هذا المراحُ الطروبُ   هدوءَ الحزينِ وجِدَّ الرّصينْ

وأعجبني حُسْنُ هذا الكمالِ   وإني عليه الحفيظُ الأمينْ

* * *

لهذا أُحبُّكِ: هل تَفكرينَ؟   وهذا هو السرُّ. هل تَعْلَمينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟   وفي كلِّ قُرْبٍ ظَمَاءٌ يَزيدْ؟

وفي كلِّ يوم أرى عَالَماً   مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟

وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ   فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ

ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياة   وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ

كَأنَّ الحياةَ وآمالَها   إذَا مَالقيتُكِ خَلْقٌ جديدْ

هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ   يُقَسِّمُ في الكونِ شَتى الجُدودْ[1]

فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقِيٌّ   ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !

ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ   ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتكِ خَفَّاقَةً كالرجاء   فذكَّرْتِني أنني بَعْدُ حَيْ

وجَاشَ بنفسي شعورُ الحياة   وفتّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ

أُقلِّبُ عيني بهذا الوجود   وترتادُ رُوحي منهُ الخَفيْ

فيا للجمال، و يا للغناء   ويا للخواطرِ تَهفُو إليْ!

ويالي مِنْ ظَامئٍ لاهفٍ!   ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَريْ!

يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ   وأصداءَها لنشيدٍ شَجي

ويُطْرِبُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةَ   وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسيْ

وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ   وحبُّكِ مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الحدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلِّي بِطَلْعَتِكِ السَّاحرهْ وحَيِّي بنظرتِكِ الشَّاعرهْ

أَفيضِي على الكونِ فيضَ المِراحِ وغَذِّيه بالقوةِ الطَّافرةِ[1]

ومالك أنتِ؛ وما للسُّكُونِ؟ وما أنتِ إلا القُوى الثائرهْ

قُوى الحبِّ تَنْبِضُ بينَ القِفَارِ فتغدُو القِفَارُ بها ناضرهْ

وتنفخُ في ساكناتِ القُلوب فتغدُو سَواكنُها نَافِرهْ

وتهتفُ للصُّمِّ بالأغنياتِ فَيَصْغُون للنَغْمَةِ السَّاحِرهْ

* * *

ألستِ التي نَبَضَتْ (بالوجود) فشقَّ قُوى العَدَمِ السَّاخرهْ

بلى ! أنتِ سرُّ انتصارِ الحياةِ على الموتِ في الوقعةِ الظافرهْ

هُنالك من قبلِ ميلادِها وكانتْ مغيبةً حائرهْ

وكنتِ نواةً بها ضامرةً فعدتِ حياةً بِها سَافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عن منحه، وَتَناهي دونَه أملي

منحتني الحبَّ للدُّنيا التي جَهدَتْ في أن تُميلَ لها قلبي فلمْ يَمِلِ

وكلما قرَّبْتني، قلتُ: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتني؛ قلت واوَجَلي[1]

ويغمرُ الشّكُّ نَفْسي كلما كشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَا غير مبتذَلِ

حتى خَسِرْتُ من الأيَّام ما غبَرتْ به السُّنون، وحتَّى عقَّني أجَلي

* * *

واستَلْهَمَتْ هذه الدنيا طبيعَتها في مُعْجِزٍ منْ قُواها قاهرٍ حانِ

فأبدعتْكِ جَمالاً كلُّه ثِقةٌ يؤلِّفُ الحبَّ من وَحيٍ وإيمانِ

وأودعتْكِ رَحيقاً من خُلاصتِها ومنبعُ السِّحرِ فيها جَدّ فتَّانِ

وأرسلتْك يقيناً في طَلائعها منيرةً في دُجى عَقْلي ووجْداني

فكنتِ آخرَ سهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً من خَلْقِ فنانِ[2]

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِصُ للدنيا وأمنَحُها حبّي، وأُدْرِكُ ما فيها من الفِتَنِ

والآن أنظر للدُّنيا وأنتِ بها كعاشقٍ بهواها جِدّ مُفْتَتَنِ

والآنَ أعْمَلُ للدُّنيا على ثقةٍ بأنني قَلْبُها الخفَّاق في الزمنِ!

والآن أنصتْ للدُّنيا فَيُطْرِبُني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللَّحَنِ

لكِ الحياةَ إذنْ ما دمتِ مانحةً لِيَ الحياةَ بلا أجرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أسى الألحانِ أمْ هذا؟ أساكِ يسيلُ في اللَّحْنِ؟

وإلا هذه نَفْسي تَهيمُ بِعَالَمِ الحُزنِ

فَتُوحِي النفسُ للأذنِ؟

وأين نشيدُك الراضي؟ وأينَ نشيدُك العَذْبُ؟

وأين الفَرْحَةُ النَّشْوى؟ وأين القفزُ والوثْبُ

فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَمِعْتُكِ أمسِ لم أسْمَعْ سوى نبراتِ أسْفَانِ

وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه مِن الهوى الفَانِي

فَأَنَّ فؤادُه الحاني

هي الأوتارُ عَالمةٌ بما في قلبكِ المُفْعَمِ؟

وإلاَّ أنتِ مُوحِيةٌ لها تَرنيمةَ المؤلمِ

تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربكِ عَلِّمي اللحْنَا يُرجِّعُ غِنْوةَ الأملِ

ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذِلِ

فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجلْ يا خطرةَ الفَنّ برأسٍ مُفَكِّرٍ سَامِ

وغايةَ كلِّ فنّانٍ يُنَاجي حُسْنَ أوهامِ

أجَلْ ياسرَّ إلْهامي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تَهرَب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم   تَثُرْ في فؤادِكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غاضِبَةْ!   وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ

يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ   وتجأرُ فيها المُنى الوَاثِبَهْ![1]

وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئِنّ   تُمازِجُه الغَيْرةُ الصّاخِبَهْ!

تُطِلُّ بها الذكرياتُ العِذابُ   وتَرْجِعُ مُجْهَدةً لاغِبَهْ

وفيها فُتُورٌ ولكنّه   فُتورٌ به قوةٌ غالبهْ

* * *

ولكن بها بعدَ هذا وذاكَ   فنونُ الهوى والجمالِ العفيفْ

وفيها من السِّحْرِ أطيافُه   بعينيكِ ألْمَحُها إذا تطيفْ

لأَلهمتِني السرَّ لما نظَرْتِ   إليَّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[2]

وحدثْتِني في خُفوتٍ عجيبٍ   بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ

ولولا شعوري بحبِّي العطوف   لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ!

* * *

قد انتصرَ الحبُّ. يا للانتصار   بهذا العتاب وهذا الغضبْ

وَثِقْتُ من اليومِ في حُبِّنا   وأنكِ تَرْعينَهُ في حَدَبْ

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم   تَثُرْ في فؤادِكِ تلكَ الرِّيَبْ

إذَنْ فاطمئنِّي فهذا الفؤادُ   يحبُّكِ في وَقْدةٍ كاللهبْ

يحبُّكِ إي وجمالِ الغضبِ   يحبُّكِ إي والهوى المُلْتهبْ

١- تجأر: تتضرّع

٢- الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثيني أمـا تَزالـين غَضْبـي؟ أوَ مَـا زالَ مـلءْ نَفْسـك رَيْبا

ولمـاذ الوقـارُ والصمـتُ يُضْفي بعدمَا كنـتِ لي مَراحـاً وَوَثْبا

كانَ بالأمـس كالعِتـابِ جميـلاً ما له اليـومَ لَمْ يَعُدْ منـك عتْبا

صَمَتَ الكونُ مُـذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادحاتٌ تُـرَدِّد اللحـنَ عَذْبا

أنـا أخْشَـى ولا أُصـرِّحُ مَـاذا أنـا أخْشَـى؛ فمـا أزال مُحبًّا

ابْسُـمي تَبْسُـمُ الحيـاةُ وتَرْضَى وامْنَحيـني اليقـينَ. أمْنَحْك حُبًّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنـا أشْـرِى اليقـينَ بالفُقْـدَانِ مُؤثـراً فيـه وَاضـحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلةُ الشكِّ والأسى والظَّلام … وجحيمَ الإقدامِ والإحجام

والعذابِ المُمِضِّ لم يُتَصوَّرْ … في وعيدٍ أو خَطْرَةِ الأوهام[١]

قد تركتُ الماضي حَصيداً هَشِيمَا … ونَضيرَ الآمالِ مثلَ الحُطَام

عنِ عذابِ الآمالِ قَدْ أتَعزَّى … وما عَزائي عَمَّا مَضَى مِنْ غرامي؟

ليتنى أستطيعُ أنْ أُرجِعَ الما … ضي فأُحيي ما ضَاعَ مِنْ أيامي

ليلةَ الشَّكِّ هل مضيتِ؟ فإنِي … لم أزلْ بَعدُ غارقاً في الظَّلام

والهوى المُشْرِقُ المنيرُ تهاوَى … في خِضَمِّ الدُّجَى العميق الطَّامي

والحياةُ التي تفيضُ مِراحاً … قد تَبدَّدَتْ في ذلَّةِ الأيتام

وَمَشى الحبُّ مُطْرِقاً يَتَوارَى … كَحَيِيٍّ يَنُوءُ تحتَ اتِّهامي[٢]

ليلةَ الشَّكِّ قَدْ طَمَسْتِ حياةً … مِنْ رَجاءٍ صِيغَتْ ومِنْ إلهامي

لَهفَتي لليقينِ يَغْمُرُ نَفْسِي … لَهفَتِي للهدوءِ بعدَ اضطرام

أنا أشْرِي اليقينَ بالفُقْدانِ … مُوثِراً فيه واضحَ الآلام

* * *

١- الممض: المؤلم.

٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقينَ اليقينَ بعدَ ارتيابِ … الهدوءَ الهدوءَ بعدَ اصطخابِ

اليقينَ اليقينَ أطلبُ فيه … راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ

أيهذا اليقينُ إنّك قاسٍ … ما تَطلبتُ كلَّ هَذا المُصاب!

أيها الشكُّ رُبّما كنتَ خيراً … من يقينٍ كالجَدْبِ بين اليباب

حَيْرَةَ الشك، هَدْأةَ اليأسِ، هَلا … لحظةً تتركان نَفْسي لما بِي

لحظةً تُخْليانَ فيها فؤاداً … مَلَّ وقعَ اليقينِ أو الارتياب

ثم ماذا؟ وما الهروبُ؟ وهذا … واقعُ الأمرِ، ما لهذا التَّغابي؟

يا يقيني إلىّ. إن حَفيٌّ … بيقينٍ شَرَيْته بِلُبَابي[١]

بدمائي التي بُذِلَتْ، بِدَمْعي … برجائي المُنَوِّرِ الوَثّاب

أنتَ أغلى عَليّ مِنْ كلِّ هذا … يَا يَقيني، ومُرْشِدِي للصواب

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُك يا جَنَّتي السَّاحرةْ   وغادرتُ أفياءَك العاطره

وهِمْتُ تُشَرِّدُني المُقْفِراتُ   وتَلْفَحُني كاللظَّى الهاجرةْ[1]

وتَعْصِفُ في نَفْسِي العاصفاتُ   وتَنْهَشُها الوَحْشَةُ الظَّافِرَهْ

وقَدْ طَمَسَ اليأسُ نَهْجَ الرَّجَاءِ   وغَشَّ البصيرةَ والبَاصِرهْ

فلا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّراب   ولاَ العِلْمُ يُرْضِي المُنَى الحَائرهْ

هو اليأسُ أو اليقينُ الأليمُ   وبعضُ الحقائقِ كالكَافِرهْ

فيا لليقينِ المُمِضِّ اللَّجوُجِ   ويَا لَحَقيقتِه الجَائرهْ

فَقَدْتُك ياليتي إذ فَقَد   تُك كنت مؤمنةً عَامرهْ

لَعزَّيْتُ نَفْسِي بالذكرياتِ   وأودعتُ فِرْدَوسِي الذَّاكرهْ

ولكن فَقَدتُك نَهْبَ الذئابِ   تجوسُ خِلالَك كالآسِرهْ

ونَهْبَ القَشَاعمِ والجارحاتُ   تخطَّفُ أثمارك النَّاضِرهْ[2]

ونَهْبَ المطامعِ والمغرياتُ   تُدَنِّسُ نِيَّتَك الطَّاهِرهْ

فقدتُك في النفس أنْشُودةً   ومعنًى من الفتنةِ السّاحرهْ

فقدتُك ذِكْرى فوا حسرتاه   لِفَقْدٍ مِنَ العينِ والخاطرهْ

1- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.
2- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبي منَ الحنينِ فَغَاضَتْ   عَبَراتي وأقفرتْ مُنْذ حِينِ

وحسبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ   بينَ ماضِي حياتي المَكنُون!

وإذا بي أُوَدِّعُ اليومَ عَهْداً   فتفيضُ الدموعُ مِلْءَ الجفُون

في انسكابٍ يَغُضُّ من كِبْريَائي   واضطرابٍ يرتاعُ منهُ سُكُوني

يا دموعَ الوفاءِ أَنْتُنَّ أَغْلَى   أن تُرَقْرَقْنَ للوفاءِ الغَبينِ[1]

* * *

1- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَقَ القلبُ الذي مَسَّتَ يَداكِ   جانبيهَ، في جنونٍ واضطرابِ

أكذا يَهْتَاجُنِي مَسُّ هواكِ   وأنا الهادِئ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! ما السّرُّ في خفقته.. ؟   إنني أسْألُك السّرَّ الدفينْ

أنت أدْرَى بالذي أودَعته   فيه من حبٍّ، ووَجْدٍ، وحَنينْ!

* * *

إن قلبي لم يكنْ يَنْزُو ، فماذا   سَالَ في كفّكِ مِنْ سحْرٍ عَجيبْ؟

أهو اللُّغْزُ الذي تَحْوينَ هذا؟   أم هي الفتنةُ في مِفْتَاحُ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إني في اضطرابي قَدْ نَسيتُ   مَبْعثَ الفتنةِ عينيك تينِ!

تُضْمِرَانِ السِّحْرَ يُحيى ويُميتُ ؟   وهما سرُّ اتصالِ المُهْجَتَيْنِ

* * *

سحْرُكِ المجهولُ أمْسَكْتُ عَصَاه!   فإذا شئتُ اتقاءً أتّقيه!

لكن السِّحْرَ الذي تَاهتْ رُقَاه   إنني أهفُو إلى الإخلادِ فيهِ

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهي النَّشْوةُ أم وَقْدةُ جَمْرِ   إنني أحسستُها تذكُو بِصَدْري[1]

وبِرُوحِي لَهْفَةٌ تبعثُها   هذه القبلةُ من أعذبِ ثَغْرِ

قُبْلَةٌ ! ما هذه القُبْلَة إذ   تنقلُ الدُّنيا إلى عالمِ سِحْرِ

وتُحيلُ الجسمَ والرُّوحَ معاً   شعلةً طائفةً لم تَسْتَقِرِ

بل تُحيلُ الجسمَ والرُّوحَ شَذىً   من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْكَةِ طُهْرِ

* * *

لم أُحِسّ الرُّوحَ مِنى مُثْقَلاً   بِهموم الجسمِ إذ هَوَّمَ يَسْرِى

لم أُحِسَّ العُمْرَ إلا خَفْقَةً   في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى

وأرى الماضِي أَضْحَى لحظةً   بعد ما قَدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهري

وتطلَّعْتُ بعينِ المُنْتَشِى   لجمالِ الكونِ في نَشْوةِ سُكْرِ

* * *

أهي القُبْلَةُ من ثَغْرٍ لثغرِ ؟   أم هي الخَطْرةُ مِنْ وَحي لِفكْرِ

أم تُراها قُبْلَةَ النورِ التي   فاضَ منها النورُ في أولِ فَجْرِ

حينما رفرفَ والكونُ دُجَىً   رُوحُ ربّ الكونِ في لُجَّةِ غَمْرِ

فتجلّى النورُ في بَرٍّ وبَحْرٍ   وتَراءى الحُسْنُ في طيرٍ وزَهْرِ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُقُ القلبانِ ، بل تهفُو الشّفاه   مُنذُ أن ضَمَّتْكِ في شَوْقٍ يَداه

مُنذُ أن رَنَّ صَدَاها ، قُبْلَةً   نَهلَتْ منها وعَلَّتْ شَفتَاه

وارتوتْ رُوحَاكُما بَلْ ظمِئت   برحيقِ القُبلاتِ المشتهاه

بَلْ رحيقُ الخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاه   وسَرَى فيه حُلاه وشَذَاه

* * *

يَخفُقُ القلبانِ؛ بل تهفُو الشِّفاه   حينَ يَلْقَى ناظِرَيْكِ نَاظِرَاه

حينما يَسْتَعِرُ الحبُّ جَوىً   يَكْتَوِى القلبانِ مِنْ حَرِّ لَظَاه

فَيُرجي كلُّ ثَغْرٍ قُبْلَةً   هي بَرْدٌ للحنَايا والشِّفَاه

مثلما يَطْلُبُ رَيًّا ظَامِىءٌ   ينظرُ الماءَ ولا يَبْلُغُ فَاه

* * *

يخفُقُ القَلْبانِ؛ بل تَهفُو الشِّفَاه   كلما بَشَّرَ بالحبِّ الهُدَاه

كلَّما نَادَى حَيْ هَلا   يَقْطِفُ المحرومُ ما طَابَ جَنَاه

مَا لِمَحْرومَيْنِ لم يَسْتَمِعَا   ذلك الصوتَ الذي دوَّى صَدَاه

إِيه هيا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشِّفاه   فهوَ داعِي الحبِّ؛ أو دَاعِي الحياهْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَفَتَاي تَخْتَلِجَانِ للتقبيلِ؟   في كلِّ مُطَّلعٍ لديكِ جميلِ

ظَمَأُ الشِّفاهِ طبيعةٌ أُلْهِمْنَها   منذ ارْتَوَيْنَ بثغركِ المَعْسُولِ

ظَمَأٌ تُؤَجِّجُه القلوبُ خَوافِقاً   تَنْزُو بعارِمِ لهفةٍ وغليلِ

من يومِ ما التقَت الشِّفَاهُ فَحدَّثَتْ   عن حُبِّنا بسواحِرِ الترتيلِ!

أفتذكرينَ وقد ضَمَمْتُكِ والهوى   يُغْرى ويُوقِظُ خَاطِرَ التقبيلِ؟

والكونُ يُمْسِكُ خَفْقَه مُنْتظراً   قبلاتِنا في لَهْفَةٍ وذُهولِ

هُو عاشقُ القُبلاتِ! إِنّ رَنينَها   لَحْنٌ يُنَبِّهُ فيه كلَّ خُمُولِ

وهي الحياةُ إِذا تُحيّى قُبْلَةٌ   رَمْزاً على الترحيبِ والتأهيل

أفلا نَردُّ على الحياةِ تحيةً   مَا عقّها في الكونِ أَيُّ بخيلِ؟

أفلا نُرَجِّعُ غِنْوةَ التقبيلِ!   وتحيةَ الدُّنيا لخيرِ نزيلِ؟[1]

---

* نشرت ١٩٣٤.

١- النزيل: الضيف

الخطر

بـينَ التلفُّتِ والحَذَر خَطَرتْ تُبَشّرُ بالخَطَرْ!

بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النّذُرْ!

وتشيرُ للمتنظّريـ ـن إشَارةَ اللّبِقِ الحَذِرْ!

لتضيعَ مني قُبْلَةٌ لبثتْ بِفيها تَنْتَظِرْ!

ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثّمَرْ

هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ

فمضَى يَتيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!

ويَلُوحُ حتى ننتَشِي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ

ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قمَرْ

ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ

ونَطِيرُ في نَشَوَاتنا نهفُو إليه وننتظِرْ

فَإِذاهُ آناً يعتذِرْ عَنّا وآناً يستتِرْ!

هو ذاك يا قلب الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِه أيُّها الحُسْنُ الأغَرُّ وامرحْ بِنَفْسِك وازْدَهِرْ

ما الحُسْنُ إلا شُعْلَةٌ تَخْبو إذا هِي لم تُثَرْ

ما الحُسْنُ إلا طَائرٌ يَهوى إذا هُو لم يَطِرْ

ما الحُسْنُ إلا قُوةٌ تَعْيا إذا لم تَقْتَدِي

أمّا الذين أسَرْهُم بينَ التبرُّجِ والخَفَرْ[1]

فعليهمُ أن يَعْلَمُوا يا حُسنُ من أين المَفَرْ

أو يَسْتَنِيُموا للخَطَرِ ويحسبهِم منكِ النَظَرْ

* * *

١– الخفر : الحياء.

يقظة*

سَهِرْتِ؟ إذنْ تَعَالَيْ حَدِّثيني   بما أحْسَسْتِ من حَرَقِ الحنينِ
فقد جربتُه سهرَ الليالي   وقد خَبَرْتُ تسهيدَ الجفونِ
وأعْلَمُ أن مبعثَه غرامٌ   يَؤُزُّ جوانبَ القلبِ الحَنُونِ(1)
ويَقْظَةُ حالمٍ تَسْمُو مُنَاه   عن النُّوامِ في دُنيا السكُونِ
فَهلْ أحْسستِه حُبًّا كهذا   فبتِّ الليلَ سَاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

وما أبْغِى لك السُّهدَ المُعَنّى   ولا الحُرُقَاتِ سَاعرةَ الشُّجُونِ
ولكنّي أريدُ نشاطَ حُبٍّ   ويقظةَ عاشقٍ جَمِّ الفُتونِ(2)
فنوقظُ هذه الدُّنيا خلوداً   ونَسْمُو عن تقاليدِ السنينِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- يؤز: يزلزل.
٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنَامي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلَّم الحبَّ التَسَامِي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحي مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامِ
وهو يَسْري في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنَامي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكُونٍ لِتَنَامي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنَامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهـا الحـبُّ فَـلا تَنْـس دُعـاءً بالـدوامِ
وتعاويـذٌ لقلبينـا لِصَـدٍ أوْ سَـآمِ
أو فَعَوِّذْهـا ودَعْنـي لِتعاويـذِ غرامـي
وإذا شـئتَ فَعَـوِّذْ بي مـن فَـرْطِ هُيامـي
ومِـنَ اللهفـةِ تَطْغَـى في فـؤادي كالضِّـرام![1]
واجعـلْ الدُّنْيـا سـلاماً وارْوِ يـا حُـبُّ أُوامـي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.
٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيـشُ نِضْو تَرقُّبِ أُزْجي حَياتي كالأجـيرِ المُتْعبِ[1]
أرنُـو إلى الإصْبَـاحِ ثم تَمُجُّـه نَفْسـي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيبِ[2]
وأُحـسُّ بالقفـرِ الجديـبِ يَلُفُّني ويَجُوسُ في نفـسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمـا اختصرت حيـاتي لم أبلِ بَـلْ لم أحسُّ بنقصِهـا أو أعْيبِ
وإذَا تَشَـابَهتِ الحيـاة وأقفرتْ مُجَّـتْ بِرُمَّتِهـا، ولَـمْ تُتَطَيبِ

* * *

واليومَ. آسَـفُ للدقائـقِ تَنْطَوي من عُمْري الغَـالي الثمينِ الطَّيب
واليـومَ أرْقُبُهـا وأرْقُـبُ خَطْوَها فأعيشُـها مِثْلَين بَعـدَ تَرَقبذث
وهـي العميقـةُ كالخلـودِ وإنما تَمْضـي حَثيثاً في خُطَـا المُتوثب
وأودُّ لـو هـي أبْطَـأتْ وتلبَّثَتْ في خَطْوِها لَيْثَ الوَئيـدِ المُكْثبِ
تَغْلُـو الدقائـقُ في حيـاةٍ خِصْبَةٍ وتَهُـونُ أعْـوامٌ بِعُمْـرٍ مُجْدبِ

* * *

الحبُّ فَـاضَ على الحيـاةِ بخصبه وأجَـدَّ عُمْراناً بِـكلِّ مُخرَّبِ[3]
وأزَاحَ أسْـتَارَ الدُّجى فتكشَّـفَتْ ظُلُمَاتُـه عـن كلِّ زاهٍ مُعْجِـبِ
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيـاةُ وتَجْتَلي وتَعِزُّ سـاعاتُ الغَـرامِ المُخْصِبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.
٢- تمجه: تلفظه كارهة.
٣- أجَدَّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّي وامْلئي الدُّنيا نشيدَا وحَيِّي ذلك الكونَ الجديدَا

فإنَّ الحبَّ أبْدَعَه؛ وإني نظمْتُ على بَدائعه القَصيدَا

أجَلْ حيِّيه فهو لنا، وإنَّا لَنَعْمُرُ كَوْنَنَا عُمْراً سَعيدَا

نعيشُ مَعيشَةَ الطُّلَقَاءِ فيه وكونُ الناسِ يُثْقِلُهم قُيودَا

وَنَمْلِكُه وما الأحياءُ إلاَّ أجيري هذه الدُّنيا عبيدَا

وَنَبْذُرُ فيه آمالاً وضَاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُها الطَّلْعَ النَّضيدَا

* * *

تَغَنِّي بالرجاءِ وبالأماني وبالنُّعْمَى تَدومُ لَنا خُلُودَا

ومِنْ فِتَنِ الحياةِ خُذي الأغاني ومِنْ خَفقَاتِها صُوغي النَّشيدَا

ومِنْ شِعْري؛ فقد نظَّمْتُ فيه أهازيجَ الهَوى لَحْناً فريدَا

فما أحْلَى الغنَاءِ بِعذْبِ شِعْرٍ نحيِّي فيه عَالَمَنَا الوَليدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَمْ أُحبُّكَ للسَّنَا والنُّور وَلِحُسْنِ وجه في الحياة نَضير

ولسحْرِ رُوحْكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى منِّي فأتْبَعُه اتِّبَاعَ سَحِير(١)

ولَمَّا تَضَمَّنْت الجمالَ فأفصحتْ بك منه سَاحِرة مِنَ التعبير

ولما مُنِحْتَ، وما مَنحت من الهوى للكونِ؛ أو أحييْت مِنْ مَقبور

إنْ لَمْ أُحِبُّكَ حُبَّ مفتونٍ ولا حُبَّ الأسيرِ؛ إذَنْ فَحُبَّ شَكُور

* * *

حُبَّ الذي أحييْتَ فيه حَيَاتَه مما لديك مِن الحيا المَذْخُور

ووهبته مُلْكَ الحياةِ وطَالَما قَدْ عَاشَها كالعَامِلِ المَأْجُور

ومَنَحْتَه مَاضيه بعدَ ضَيَاعه وأعَذْتَ قابلَهُ مِنَ المَحْظُور

حُبَّ الذي أشْرَقْت في وجْدَانه فجلوتَ كلَّ مُحجَّبٍ مَسْتُور

ونَفَخْتَ في عَزَمَاته فتوهَّجتْ وسَمَتْ لكلِّ مُمَنَّعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحبُّكَ حُبَّ مَنْ ألهمته شِعْراً يُضيءُ سَنَاه كلَّ شُعور

شِعْراً جمعت من الحياةِ زُهورَه ومِنَ الجمالِ نَفَحْتَه بعبير

ومِنَ الضياءِ وهبته آمالَه ومن النَّدَى حلْماً كَوجه غَرير

وبعثته وَحيَ الحياةِ وفَنَّها تجْلُوه ضِمْنَ جمالِها المَأْثُور

* * *

أفلا أُحبُّكَ؟ إنَّها لَفَريضةٌ حُبَّ الشَّكُورِ لواهبٍ مَشْكُور

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَةُ الحبِّ من صنيعِ السَّماءِ   وهي صِنْوٌ لعِصْمَةِ الأنبياءِ(١)

يُخْطِئُ الناسُ في الحياةِ اسْتِبَاقاً   للذَاذَاتِ قبلَ يومِ الفَنَاء

وصِرَاعاً ما بينَ جسمٍ ورُوحٍ   في شَتيتِ الآمالِ والأهواء

وَلَوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُوا الخُلْدَ   أَوَ انَّ الأَرْوَاحَ مَحْضُ صَفَاء

لَتَسَامَوْا عَنِ الخَطيئةِ كالقَيْدِ   وعَاشُوا مَعيشةَ الطُّلَقَاء

* * *

وغَنَاءٌ عَن الخُلُودِ غَرَامٌ   هُو رَمْزٌ وَوَصْلَةٌ للبقاء

وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ   ويُضْفِي عليه ثَوْبَ الضيّاء(٢)

هُو نورٌ وما الخطيئَةُ إلاَّ   ظُلْمَةٌ أو حَليفَةُ الظّلْمَاء

وهُو يَسْمُو عن الزمانِ ومَا قَدْ   يَقْتَضِيه الزمانُ مِنْ أخْطَاء

هُو خُلْدٌ، وما الخطيئةُ إلاّ   بعضُ وَحْيِ الفَنَاءِ للأَحْياء

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنا بانتظارِكِ ما أُبالِي   رِضِي الهوى حُكْمَ الجَمالِ!

غيبي إِذَنْ أو فَاحْضُري   أنا قَانِعٌ في كلِّ حَالِ!

رَاضٍ بأحلامِي التي   تُضْفِي عليكِ حَلْيَ الجلالِ

لستِ الملومَةَ إنني   أنا رِشْتُ أجْنحَةَ الدَّلالِ!(١)

مَا للجَمَالِ مَتَى بَدَا   إلا التَّخَشُّعُ في ابتهالِ

* * *

أنا بانتظارِكِ في الشُّروقِ   وفي الغروبِ وفي الزَّوالِ

أنا بانتظارِكِ حِينَ أصْحُو   طَلْعَةً مِثْلَ اللآلِي

أنا بانتظارِكِ حِينَ أغْـ   ـفُو طائفاً مِثْلَ الخيالِ

وإذا قربتِ تطلَّعَتْ   نَفشِي إلى القُرْبِ المُوالِي!

وإلى التَّمازُجِ بيننا   حَنْيَ النحورِ إلى كَمَالِ

هو ذاكِ سِرٌّ تَنَظُّرِي   أبدا إليكِ؛ فما احتيالِي؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُحْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[١]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى جحيماً كُلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُك لهفةً حَرَّى وشوقاً كُلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُك ريبةً فِينَا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[٣٨] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُها قد اشتعلتْ وفي التلطيف إذْكَاءْ

* * *

كرهتك سُهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شُغْليَ الشَّاغِلْ وآمَالِي وآلامِي
وماضِي العُمْر والآجِلِ ولَيْلاتي وأيّامِي

* * *

كرهتُك دورةَ الزَّمَنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ بإحساسٍ لَنا شَاغِلْ

* * *

كرهتُك لستُ موقوفاً على حُبٍّ يُقَيِّدُني
كَرِهْتُ العيشَ مَلْهُوفاً على أملٍ يُسوِّفُني

* * *

وداعاً أيُّها الحبُّ كرهتك فارتحلْ قُدُما
كرهتك لم يَعُدْ قَلْبٌ بصدري يَحْمِلُ الألَما

* * *

سَأحيا خَامِدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أملُ
سَتخْبُو شُعْلةُ النفسِ ويَمضِي ذلك الأجِلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْتَ يا قلبُ ! . ماذَا أَنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ؟[1]
تَوثُّبَ الحبّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنِينَا؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك وعِشْتَ كالناسِ حِينا[2]
أو عشتَ كالهادئينا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادى أَنَكْسَةُ الحبّ لَقْيَا؟
كالنارِ تحتَ الرَّمادِ ما يلبثُ الحبُّ حَيَّا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يا قلبُ فَاذكرْ عَذَابَك في الشكّ أو في اليقين
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.
٢- إسارك: قيدك.
٣- القلى: البغض والهجر.

وبينَ إنْ قِيلَ غَابَتْ أو قِيلَ : الآن تَأتى!
وبينَ فَوزٍ مُبَاغِتْ أو حسرةٍ بعدَ فَوْتِ
وحَيْرَةٍ كلّ وقتِ

* * *

أراكَ يا قلبُ لَمَّا تَسمَّعْ، ولم تَتَذَكرْ
وما تحاوُل كَظْماً لِخَفقِكَ المُتَسعّرْ
وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْكَ يَا قلبُ وِزْرَكَ فاخفقْ إذَنْ بَلْ فَخَاطِرْ؟
فليس يُجْدِيك حَذَرُكَ إذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرْ
خاطِرْ بنفسك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَرَّدَ ذلك الطَّللُ   وطافَ بركنه الوَجَلُ
يُغَشّى اليأسُ صَفْحَتَه   ويُبْرِقُ تحتَه الأملُ
وهَمْسٌ حولَه الذّكْرَى   فتلمعُ بينها الشُّعَلُ
جَفَاه أهلُه مَلَلاً   فَخَيَّمَ فوقَه المَلَلُ
عَزِيزٌ عَهْدُهم فِيه   عزيزٌ أنْتَ يا طَلَلُ

* * *

بَنَاه خَيرُ بَنَّاءٍ   بَنَاه الحبُّ مُبْتَدِعا
وبَثَّ عَلى جَوانِبه   مَفَاتِنَ تَفْتِنُ الوَرَعا
وأطْلَقَ حَولَه سِحْراً   يَبُثُّ الشَّوقَ والوَلَعا
وأَنْشِدَ باسْمِه شِعْراً   مِنَ الآمالِ مُنتَزَعا
وظَلَّلَ أَهَلَه الأملُ   فماذا جَدَّ يا طَلَلُ ؟

* * *

* نشرت ١٩٣٤.

خريفٌ بَاكِرٌ حَلَّ   خريفُ الحُبِّ والعُمْرِ
فَحطَّمَ كُلَّ شَامِخَةٍ   على الأحداثِ والدَّهْرِ
وعَطَّلَ كُلَّ فَاتِنَةٍ   مِن الإغْرَاءِ والسِّحْرِ
وأبْطَلَ كلَّ سَاحِرةٍ   وأسْكَتَ نَغْمَةَ . الشِّعْرِ
فَعَادَ بِنَاؤُه طَلَلاً   فَوَيْحَكَ أيُّها الطَّلَلُ
دَلَفْتُ إليه مَلْهُوفاً   تحُثُّ حَنيني الذّكْرَى
فأطْرَقَ لا يُحَدّثُني   وأرْسَلَ زَفْرةً حَرَّى
وَجَدْتُ لِوَقْدِها لَذْعاً   كَأني أَلْمَسُ الجَمْرَا
وتاهتْ نَفْسي الوَلْهَي   وأَسْرَتْ رُوحِي السَّكْرَي
وقُلْتُ وقَدْ نَزَا أَلَمي   «فِداكَ الكَونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُها لم تَزلْ فائرَه   ونكْهَتها لم تَزالْ عَاطِرهْ

أُحسُّ حرارتَها في دَمي   كما تَصْرُخُ الشعلةَ الثّائرهْ

أنْشَقُ نَكْهتَها كالشَّذى   يفوحُ من الزهرةِ النّاضرهْ

وتخطرُ رَيّانَةً في فَمي   كما يَخْطُر الحُلْمُ بالذّاكرة

وبينَ يَديَّ صَدى ضَمَّةٍ   تَرَدَّدُ كالنَغْمَةِ السّائرةْ[1]

أجلْ! لَيْسَ هَذا الذي قد ضَمَمْتُ   سوى نَغْمَةٍ حُلْوةٍ عابرَة

أذلك جسمٌ ! فأينَ الخيالُ   وأينَ عَرائسُه النّافرةْ؟

تَقَدّسْت منْ قُبْلة قَدَّسَتْ   مُناي وأوْهامي الحائرهْ

وأَزْكَتْ حَياتي وإنَّ الحياةَ   هي الفتنةُ الحيّةُ الطّائرهْ

أجلْ هي أطْهَرُ ما في الوجود   فما الرِّجْسُ إلاّ القُوى الخائرة

لجَسَّمْتِ ما كانَ في خاطِري   خيالاً وأُمْنيةً طائرهْ

وقرّبْتِ للّمْسِ ما لم تَكُنْ   تُقَرّبُهُ الفكرةُ الخاطرهْ

وَأسْرَيْتِ بالرُّوحِ في لَثْمَةٍ   تَحُسُّ بها الشّفةُ الشّاعرهْ

أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجسم   وبينَ القُوى الطّافرهْ ؟[2]

قُوى كلّ هَيْكلِ هذا الوجودِ   كذلك قدرتْ يا قادرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّي لأغْمضُ في نَشْوةٍ   وأُمْسكُ أَنْفاسي السّاعِره

وأَخْطرُها قُبلةً في فَمي   فأَسْمَعُ أَصداءَها السّاحِرهْ

وأسْتَرْجِعُ اللحظاتِ القِصارِ   فَأُلْفي بها صُوراً وافِرهْ

وأَعْرِضُها مَنْظراً مَنْظراً   كما عُرِضَتْ قبلُ للبَاصِرهْ

ثَوانٍ تَرَكّزَ فيها الزمانُ   تُبارِكُ دُنْياي والآخرهْ

* * *

غني ... ؟!*

غنيّةٌ أنتِ بالتعبيرِ قد ذَخَرَتْ   أطواءُ نفسِكِ منه زادَ أحْقَابِ

وهَبتِني مِنْه أشتاتاً منوّعةً   وزدتِني منه في وجودٍ وإسهابِ

في كل جارحةٍ عُنوانُ مَلْحَمَةٍ   من الحديثِ ، وسرٌّ جدُّ جذّاب

تقصُّ تاريخَها في فنّ راويةٍ   منسّقِ النَّبْرِ ذي لحنٍ وإطرابِ[1]

وإنَّ تاريخَها أُقْصُوصةُ جمعتْ   تجاربَ الكونِ في أحلامِ أربابِ

تجاربُ الكونِ في سِحرٍ وفي فِتَنٍ   من نُضْرةِ الرّوضِ أو منْ وَحْشَةِ الغَابِ

ومنْ سَناءِ الدّراري في تألّقها   ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجَى الخَابي[2]

ومنْ غُموضِ الصّحارى في مَجاهلِها   والعيلمُ الرَّحْبُ يطْغَى جدُّ صَخّابِ

ومن صِيالِ الضَّواري في تقحُّمها   ومن أغاريدِ أطيارٍ وتَنْعابِ[3]

وفرحةُ الظَافرِ النَّشوانِ خَافقةٌ   تختالُ مُعْجَبةً في خطوِ وثّابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرّيٌّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هذا حديثُكِ بينا أنتِ صَامتةٌ   وَعَيْتُهُ كلّه في صَمْتِ مِحْرابِ

فهلْ بلغتُ مدى ما أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْقٍ وإنْجابِ ؟

لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سوى طَرْفٍ   من الحديثِ على وَفْرٍ وإطنابِ

وخَلْفَ ذلك كَنْزٌ كُلُّه طُرَفٌ   يزيدُ مَذْخُورَةً في كفّ وهّابِ

وإنَّ عِنْدكِ ما تُعطينه أبداً   للسائلينَ بإفْصَاحٍ وإغْرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ منْ خَبرٍ   مُسَلْسَلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟

وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَستْ   للأمْنياتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْرابِ ؟

وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أهْدابِ ؟

والثغرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتِه العَذْبِ، بل في سحْرِه السّابي[1]

وإن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَسَمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، للآثِمِ الصّابي[2]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خفقَتْ   فيه الحياةُ ، وتاهتْ تيهَ غَلّابِ ؟

يقولُ ما تعْجَزُ الدُّنيا برُمّتها   عن أن تقولَ بتصويرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَنّ الحياة حَوتْ   جميعَ ما تُبدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ

غنيةٌ أنتِ بالتعبيرِ قَدْ ذخرتْ   أطواءُ نَفْسِكِ منه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

في خفّةِ الطيْرِ في نُضْرَةِ الزّهْرِ
لا قيتُها عَرَضاً بَسّامةَ الثّغرِ
فتّانةٌ تُغري بالسّحرِ والطُّهْرِ
تَهْفُو فتَحْسَبُها لحناً هَفَا يَسْرِى
في لَفْتةِ الجِيدِ في خَفْقةِ الصَّدْرِ
«تَقْسِيمُ» موسيقا أمَنْغُومةِ النّبْرِ

* * *

يا بَسْمَةَ الفَجْرِ يا نَفْحَةَ العِطْرِ
أسْكَرْتِ وِجْدَانِي مِنْ لَوْنِكِ الخَمْرِي
ألْهَبْتِ إحْسَاسِي بالشَّوقِ كالجَمْرِ
وَهَمسْتِ في قَلْبِي وهَتَفْتِ في صَدْرِي
وبَعَثْتِنِي أشْدُو للحُبّ بالشِّعْرِ
وكأنَّنِي رُوحٌ تَقْفُو خُطا سِحْرِ
مَفْتُونَةً تَرنُو للكونِ في سُكْرِ
والكونُ يَشْمَلُها بالأُنْسِ والبِشْرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبِي لِمَا أَلْقَى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرى!
وَحْيٌ يُوَسْوِسُ لي في السِّرِّ والجَهْرِ
حوَّلْتِ عُمْرِي مِن شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبّبْتِنِي، عَجَبَا! في عِيشَةِ الوَكْرِ
قَد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذْ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِنِي ثِقَةً بجمالِها المُغْرِي
ورسمتِ لي صُوراً لفِراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فنُطْعِمُها بحنانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنِحَةً مِنْ رِيشِها النَّزرِ
فَتطِيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرى
وتؤوبُ وَادِعَةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتِي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَنِي أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهبِي لي رُوحاً مِن رُقْيَةِ الثُّغرِ
هِي قُبْلَةٌ تُمْضِي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكَأنَّها قَدَرٌ بسَعادتِي يَجْرِي

* * *

أكذوبة أسوان*

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذجٍ جميلٍ ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سِمَةٌ من الجمالِ الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاه وإذا هو يَهْفُو إلى الماضي، والماضي وحْدَه دونَ سواه.

الآن أعْلَـمُ أنّ كلَّ خواطـري ... تَهْفُو إليـك كرَقْرَقـات الطَّائرِ[١]

ما كان سُلْواني سـوى أُكْذُوبةٍ ... خُدِعَتْ بها نَفْسـي خديعَةَ شـاعرِ

بَيْنَ الشَّغاف وفي مُناي وفي دَمي ... ألقـاك هَاجَّـةً وبـينَ سـرائري

أنْسَاكَ؟! كيفَ وأنت بينَ جَوانحي ... شَطْري الجميلُ وأنْت وَحْيُ خواطري؟

أنْسَـاكَ والآمالُ والذِّكْرى معاً ... مَوْصُولةٌ بك في صَميم مَشَـاعِري؟

وإذا هَفَـوتُ إلى الجمـال فإنّما ... أهْـوى مِثالَـك في الجَمـال العَابرِ

أنْسَـاكَ إذْ أنْسَـى حياتي كلَّها ... فـإذا حَييـتُ فأنْـت أولُ خاطرِ

نَبَضَ الربيعُ فكُنْـتِ أولَ نابضٍ ... في خاطِـري يهفُـو وأولَ زائـرِ

وهفوتُ للماضي الذي قد أوْدَعَتْ ... نَفْسـي لديه رَغَائِبـي وذَخائري

أنا ذلك الماضي الذي لا يَنْقَضي ... أنـا ذلك الماضي يعيـشُ بخاطِري!

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١- الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلْـمُ الذي كَانَـتْ حَيَاتي ... مِـنْ حَواليْـه دُعَـاءً وصَـلاهْ

وتَسـابيحَ وَعَتْهَـا أُغْنياتـي ... وانْتشَـاءً بأفاويـقِ الحيـاهْ[١]

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَقَنـي ... مِنْ قُيـودي نَحو آفـاقٍ عَجيبَهْ

والَّـذي في الصَّحْوةِ قَـدْ طوَّقَني ... بِتهاويـلَ مـن الوَهْـمِ حَبيبَـهْ

أيُّهـا الحُلْمُ الـذي طَهَّرَ نَفْسـي ... بالعذابِ الحُلْـوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ

والـذي أفْعَـمَ بالآمَالِ كَأْسـي ... وحَبَانـي بعدَ رُشْـدي بالغُرورْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي رَدَّ عَليَّـا ... نَزَقَ الطِّفْـلِ وأهْـواءَ الغُلامْ[٢]

والـذي نَـدَّى بدَمْعـي مُقْلَتَيَّـا ... وعلـى إثْـرِ بُكَائي الابتسَـامْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الذي جَسَّـمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَـامُ في الدُّنيـا حَقيقَهْ

تَتَجلَّـى في أحَاسِيسـي وَهَمِّـي ... صِلـةٌ بالـرُّوحِ والجِسـمِ وَثيقَهْ

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَعَهـا ... في حَيَاتـي مِثْلَمَـا تَطْلُـعُ نجْمَهْ

وأرَانِيهـا كَمَـا أبْدَعَهـا ... فِتْنَةً تَشْـقَى بِهـا الدُّنْيـا وَنعْمَهْ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّها الحُلْمُ الذي هَيَّأ لي   أنَّها في ذلك الكون فَريدَهْ

والذي جَسَّمَ فيها أمَلي   وأمانيَّ اللّهيفَاتِ الشَّريدَهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي ظَلَّلَها   في خَيالي بأعَاجيبِ الظِّلالْ

فبدتْ حُوريَّةً جَلَّلَهَا   ألَقُ الطُّهْرِ وإشْرَاقُ الجَمَالْ

أيُّها الحُلْمُ الذي صَوَّرَهَا   كُلَّ يوم صُورَةً منها طَريفَهْ

كلُّها تَبْدُو – ومَا أكْثَرَها –   عَذْبَةً جَذَّابَةَ اللَّمْحِ شَفيفَهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي جَمَّلَ عنْدي   كلَّ ماعَنَّ لَها منْ نَزَواتْ!

والذي عَلَّقَ وجْدَاني وَجَهْدي   بالذي يَبْدُو لها منْ بَدَواتْ!

أيّها الحُلْمُ الذي أوْقَدَها   شُعْلَةً هَوْجَاءَ تَذْكُو في دَمي

كلّما تَلْمَسُ كَفِّي يَدَهَا   تَلْمَسُ النَّشْوةُ قَلْبي وفَمي!

أيُّها الحُلْمُ الذي كَانَ وكَانْ   أينَ نَحْنُ الآنَ مِن هذَا الزَّمَانْ؟

أيْنَ أنْتَ الآنَ يَا سِرَّ حَياتي   أينَ أنْتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!

أين يَا وَحْيَ نَشِيدي وصَلاتي؟   أيْنَ؟ في وَاد مِنَ الصَّمْتِ بَعيد

بيننَا وَاد مِنَ البُعْدِ سَحيقْ   بَيْنَما أنْتَ هُنَا مِلءُ فُؤادي

كَإلهٍ حَوْلَه الصَّمْتُ العَميقْ   وهُو في كلِّ شُعُور وفُؤَاد

لِمَ يَا حُلْمُ قَدْ أيْقَظْتَني   فإذَا الصَّحْو خَواءٌ[٣] في خَواءْ

لِمَ يَا حُلْمُ قَد فَارَقْتَني   فَإذَا الكَونُ هَبَاءٌ في هَبَاءْ

أيُّها الحُلْمُ تُرى كُنْتَ خِداعاً   إيهٍ مَا أصْدَقَه هَذَا الخِدَاعْ!

أيُّها الحُلْمُ الذي فَاتَ وَدَاعاً   ما الذي نَمْلِكُه غَيرَ الوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْلاك كَالشيطان أقْلاك   أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدّ فَتَّاك[١]

أقْلاك: إنّك في نَفْسي وفي زَمَني   وفي حياتي أفْعَى ذَاتُ أشْواك

سَمّمْت عَيْشي وأحْلاَمي وَأخْيلَتي   وأنت شيطانة في سمت أملاك

وعِشْتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا   قلب يُحسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك

مَنْ أنتِ؟ مَا أنتِ؟ إنّي حائرٌ قَلقٌ   أأنْت أُسْطُورةٌ في سفرِ أفّاك؟[٢]

* * *

أنْسَى اللَّيالي التي قَضيَّتُها قَلقاً   وأنت سَاكنَةٌ رَاضٍ مُحَيّاك

أنْسَى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً   ولسْتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي

وكِبْريائي التي مَا كُنْتُ أخْفِضُهَا   منْ قبلُ أو بَعْدُ في دُنْيَاي لولاك

أنْسَى. وأذْكُرُ أحْلاَمي وأخْيلَتي   كَأنَّهُن نجومٌ بينَ أحْلاَك

وكلُّهن نَسِيجُ الوَهْمِ في خَلَدي   ولَسْنَ غيرَ أحابيلٍ وأشْواك

* * *

أقْلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْتُ أقلاك   أهواك؟ لَيْتَ! فإنّي لَسْتُ أهْواك

أهوَى وأقْلَى وأيامي مُوزَّعَةٌ   بينَ الهوى والقلى كالضَّاحك البَاكي

هذا الرّحيقُ وهذا السُّمُّ قد مُزجَا   ولسْتُ أرْوَى بكأسٍ غَيرَ ريَّاك

هَاتي ليَ السُّمَّ صِرْفاً لا يُمَازجُه   هذا الرحيقُ فإنِّي لسْتُ بالشَّاكي

مَلَلْتُ كَأسَكِ لا ألتذّ نَشْوتَها   ولا أُحطِّمُها تَحْطِيمَ سَفَّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١- أقلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَذا اللِّقَاء كَأنَّه ذِكْرَى مَكْنُونَةٌ في عالَم النَّفْس
وكأنَّه وَهْمٌ أُجَسِّمُه لا حَادِثٌ في عَالَمِ الحِسّ
* * *

هَذا اللِّقَاءُ الخَاطِفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّفُ الأنْظَارِ في حَذَرِ
كُشمالةُ الأَحْلَامِ، كالذِّكْرَى في رِعْشَةِ اللفتَاتِ والصُّورِ
* * *

أُخْتَاه. وَاعجباً لَنَا! عُدْنَا في هذه الدُّنْيَا غَرِيبَيْن
عُدْنَا إِذا مَا خِلْسَةٌ سَنَحَتْ نَمْضي على حَذَرٍ كَلِصَّيْنِ!
* * *

أَلقاكِ مِثْلَ الطيفِ عَابِرَةً وكأنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وكأنَّمَا الأيامُ مَا شَعَرَتْ أَنَّا عَمَرْنا قَطُّ دُنْيَانَا!
* * *

وتُفَكِّرِينَ كَأنَّمَا افْتَرَقَتْ مِن مَطْلَعِ الدُّنيا طَرِيقَانَا
وتذكِّرِينَ كأنّما اجْتَمَعَتْ في خَاطِرِ الأيامِ ذِكْرَانَا!
* * *

ما أنتِ؟ إني لَمْ أجِدْ أبداً أني كَشَفتُك قَطُّ في النُّورِ
ما أنتِ إلا فكرةٌ شَرَدَتْ ما أنتِ إلا طيفُ مذعورِ!
* * *

وشَقِيَّةُ الخُطُواتِ عَاثِرةٌ في حَيْثُما اتَّجَهَتْ لمَأْمُولِ
وكأنّما تَمْضِي مُرَوَّعَةً وضميرُها يُضْفِي لِمَجْهُولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو)١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَباً! أنْت مَا تَزَالِينَ حُلْمِي وَمِثَالِي وَفِكْرَتي ونَشِيدِي
مَا تَزَالِينَ في خَيالي رَمْزاً لِرَجَاءٍ مُنَوَّرٍ مِنْ بَعِيد
مَا تَزَالِينَ حَافِزاً لِجُهودي مَا تَزَالِينَ غَايَةً لِوجودي
أَتَحَاشَاكِ بالجَفَاءِ وبالبَأ سِ فأرتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهُودي
أَتَحَاشَاكِ كالجحيمِ وكالسُّمِّ ولكن إليكِ يُفْضِي شُرودِي
* * *

عَجَباً! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأنْسَاكِ قليلاً في غَمْرَتي ورُكُودِي
فإذا دَبَّتْ الحياةُ تَراءَى كطيفٍ مُسْتَيْقِظٍ مِنْ هُجُودِ
وتَراءتْ تَرِقُّ حولَكِ أطْيَافٌ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ عُهودِ
كلّ مالا مست يداكِ ومامـ ـس هوانا من قيمٍ وزهيدِ
أتمَلّاهُ بالخيال وبالحْـ ـس كهاوٍ من عالَمٍ موعود
* * *

عجباً! بعدَ كلِّ مَا كَانَ مِنَّا مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهِيدِ
أَتَمَنَّاكِ في المَنَامِ وفي الصَّحْـ ـو تَمَنِّيَ العَقِيمِ وَجْهَ الوليدِ
وإِذا سِرْتُ في الزِّحَامِ فَعَيْنِي لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ مِنْ بَعِيدِ!
لهفةٌ تَمْلأُ الحَنَايا حَنِيناً لرجاءٍ مُجَسَّمٍ مَفْقُودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـ ـر فَأَنَّى[45] لِحُلْمِنَا من مُعِيدِ
* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينا لم نَعُدْ نسألُ أيَّانَ وأيْنَا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تمشَّتْ تُسْبِلُ السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَة الأرض على غير طَريقي
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتوارَى عَن مُفيق
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيق
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديق
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْق إلى الأرض عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرض خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ منَ الشَّوْك جَنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرض بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَّحَارَى طيفَ آلِ[1]
فَيرودُ الأفقَ ظمآناً مَشُوقاً للظِّلال

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمتَ الدَّهرُ عياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب



وادعاً كالزّهر حيّاه النّسيمْ
ساهياً كالصّمْتِ في ظلّ الوُجومْ
حالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قد تولّتْ وَذَوَتْ نُضْرتُها   وبدت كالميّتِ المُحْتَضِرِ
تَفْتَحُ الأجفانَ أو تَغْمِضُها   فتحةَ الضّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ
وشَذاها لم يَزَلْ يُفْعِمُني   فيعيدُ الشّجْوَ لي بالذّكْرِ

* * *

العود*

مُحَلِّلُ القَلْبِ أنْغاماً وألْحاناً   ومُلْهِمُ الوَحْيِ إسراراً وإعلانا
ومُوقظُ النَّفْسِ إنْ طافَتْ بِها سِنَةٌ   وأنْتَ تَهْمِسُ بالأنْغامِ وَسْنانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارِجِها[٤٦]   وتطرقُ العالَمَ العُلْويَّ أحْياناً
وباعثُ الذّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ   أثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْجاناً
وواهبُ الحِسِّ لُطْفاً في مَدارِكِه   ومُوحِي الشّعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَلْتَ نَفْسي بالألحانِ تُنْشِدُها   إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هامَ تَحْناناً[١]
كأنّ ألْحانَكَ اللائي تُرَدِّدُها   أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ   أسرَّ عن عالمِ الإنسانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفسِ مثْلَ الجسمِ آذانا
وتستحثُّ خيالاً كان في دَعَةٍ   فيذرعُ الكونَ آفاقاً وأزماناً
وتملأُ النفسَ باطمئنانِها ثِقَةً   وتغمرُ القلبَ إخْلاصاً وإيمانا

* * *

حديثُ أيِّ فؤادٍ أنتَ تَذْكُرُه   أبَاسِمٌ فَرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَا
وأيُّ وَحْيٍ لَنا تَرْوِي رسالَته   فيؤمنُ الناسُ أفْكاراً وَوِجْدانا
عَنِ القُلوبِ جميعاً أنتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأناسِيِّ ما خَصّصتَ إنساناً
عنِ الحياةِ وما فيها تحدثُنا   فكلُّنا مُؤمنٌ يزدادُ إيقانا[١]
عن الطبيعةِ تروى وهي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فما نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر* أو صورة صادقة

كانَ الأمس، وبالأمس القريبْ   يَتَراءى كالأماني هَا هُنا
هائماً كالرُّوح يغدُو ويَئُوبْ   والرجاءُ العَذْبُ في وَادي المُنا
وَادعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهيا كالصمتِ في ظلِّ الوُجُومْ[1]
حَالما يصحُو قليلاً ويَهيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهرةٌ قد كَادَ يَعْرُوها الذُّبُولْ   ثم حَيَّتْها تباشيرُ الربيع[2]
فهي تَرْنُو بين صَحوٍ وذُهولْ   مثلما تحْتارُ في العينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنُ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَان والنقاءْ

* * *

دُميةٌ تُوحي بأشتاتِ المَعَاني   وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئاتٍ مثْلَ أطيافِ الأمانِي   ساميات الوَحْيِ كالعطفِ الرَّفيقْ
وهو مَا أدْري مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ
وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسيُّ لِئامْ
مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمس ولَكن قد تولّى   ذلك الأمْسُ فَخلاّني وغابْ
وإذا بي مُوحِشٌ لا أتَسَلّى   والخصيبُ النَّضْرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ
أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]
ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشّوقُ الدّفِينْ
إيه ساعاتِ الأماني
أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بيَ الشَّجُونُ   وصَحَا جَفْنِي لَدى غَفْوِ الجفُونْ

وتوارتْ ضَجَّةُ العَالَمِ في   هَدْأةِ الليلِ يُغَشِّيها السُّكُونْ

حَنَّتْ. الوُرْقُ فلمَّا هَجَعَتْ   بَعدَ لأيٍ هَيجَتْ عنْدي الحنينْ[1]

ذكرياتٌ مَا لَهَا تَتْبعُني   حيثما سِرْتُ وأيانَ أكُونْ

صُورٌ شتى إذا ما عَرضَتْ   صَوّرَتْ لي واضحاً طيفَ السنينْ

وأرَتْني كيفَ يمضِي العُمْرُ لا   يشعرُ المرءُ به حتى يَحينْ

يَتقضَّى العُمْرُ في أحلامنا   وإذا نَصْحُو صَحتْ غُولُ المنُونْ

وأرتْني شَبَحاً مِنْ عَدمٍ   يتبعُ الأحياءَ أنّى يَنزلُونْ

يَبْلُغ الماضِي مِنْ آثارِهِم   فَاغِراً فَاهُ لِمَا يَسْتَقْبِلونْ

* * *

إيه يا ليلُ أراني مُغْرَماً   بحديثٍ منْكَ يُشْجي السَّامعينْ

هاتِ ما عِنْدَكَ لا تبخلْ به   بلسانِ الصَّمْتِ والوَحْيِ المُبينْ

أوْحِ للأنْفُسِ ما حُمِّلْتَه   من جلالٍ وخُشُوعٍ ويقَينْ

هاتِ يا ليلُ أحَاديثَ الهوى   واتلُ يا ليلُ شُجُونَ العاشقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخرْ فيكَ صَدى أنّاتِهم   لا تُضِعْ يا ليلُ أصْداءَ الأنينْ

إنّها ذوبُ قلوبٍ فُطِرَتْ   ونفوسٌ دامياتٌ وعُيونْ

كَم سلاماً فيكَ قد حُمِّلْتَه   من مُحبٍّ وامقِ القلبِ حَزينْ[1]

رُبَّ سِرٍّ غامضٍ أُودِعْتَه   في حَنايا الصَّدْرِ مَخْبوءٌ دفينْ

ضَاقَ صدْرُ الصَّبِّ عن كتمانه   فأراكَ السِّرَّ دون العالمينْ

* * *

مُرْ يا ليلُ فقد أشْجَيتَني   عَلَّ في الصبْحِ هدوءاً أو سُكونْ

إنّ لي فيكَ لَشَجْواً وأسَىً   ومُناجَاةً وشَكوى وحنينْ

عَبَثاً أنْجُو بروحِي مِنْ حنينٍ   هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ

إنني أهْواكَ يا ليلُ ولكنْ   أنْتَ بالإشفاقِ والعطفِ ضَنينْ

تبعثُ الأشجانُ مِنْ مَكْمَنِها   رحمةً يا ليلُ بالمستيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس *

نَسَمَاتٌ زَفَّهَا الفجرُ الوليدُ   بعد ما جَاشَ بها صَدْرُ الحَياةْ

ناعماً مِثْلَ أنفاسِ الورود   بَلّلَ الطلُّ شَذّاها بِنَداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّيها السكونُ   وظلامُ الليلِ والنومُ العَميق

طِفْلَةٌ قد ضمّها الليلُ الحَنونُ   ضَمَّةَ الرحمةِ كالأمِّ الشّفُوقْ

* * *

وتراءى الصُّبْحُ في سَمتٍ بديع   فإذا الطِفْلَةُ تَصْحُو من سُبَات

تُرْسِلُ الأنفاسَ في رِفْقٍ وديع   وإذا الأنفاسُ تلك النَّسَمَات

* * *

وإذا الزهرُ يُحَيِّي في ابتسامِ   ذلك الصبحَ ويرنُو في هُدوء

كابتسامِ الطفلِ في عهدِ الفِطام   حينما يَحْلُمُ بالثَّدْي المَليء

* * *

وإذا الطَيْرُ وقَد رَانَ النُّعاسُ   فوقَ عينيه تَنَزَّي فَصَحَا

يرمق النورَ بهمسٍ واختلاس   فَيُحَيِّيه طَرُوباً مَرِحَا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ الظلام   مثلما يَبْسَمُ للغَاني الأمل[1]

يَلْثُمُ الكونَ ببشرٍ وابتسام   ويُحييه برفقٍ في القُبَل

* * *

١- سدف: سواد

وترى الأنفسَ في هذا الحَنانِ   ساكناتٍ بينَ أحضانِ الطَّبيعَه

ساهياتٍ رَاضياتٍ في أمانٍ   تُرْسِلُ الطرْفَ بنَظَراتٍ وَديعه

* * *

عَالماتٍ في كَراها يَقِظَاتِ!   سابحاتٍ في التَّعلاّتِ الوِضَاءْ[1]

تُنْشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغْنياتِ   بينَ سَمْعيها ويحدُوها الرَّجَاءْ

* * *

فترةٌ في مَطْلعِ الفجرِ تمرُّ   هي حُلْمٌ مثلَ أيامِ الطُّفولَه

فإذا مَرَّتْ فجوٌّ مُكْفَهِرٌّ   هو في الطِّفلِ شبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْتُ بأحضانِ الصبَّاحِ   أو قضيتُ العُمْرَ أستمتعُ طِفْلاً!

لا ولا هذا منَ الدَّهْرِ يُتاحْ   لا ولا قد عُدتُ أستمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِراحٌ طروبٌ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعيها تُغَرِّدْ لَحنها وتُرَجِّعِ   وتمرحْ ما شاءت وتَلهُو وتَرتَع

دَعيها تُنَمِّقْ للحياةِ تحيةً   وتبعثُها لحناً يَلَذُّ ويُمْتِع

دَعيها تُعَبِّرْ عن مَشوقٍ مُتيمٍ   تَلجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو وينْزع[1]

دَعيها ففي ألحانها، الحبُّ ناطقٌ   ومن وَحْيه تَشدُو مَليّا وتَسْجَع

دَعيها فقدْ رَوَّعتِها وتَركْتها   مُشتّتةً حَيْرى تُطلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيزٌ عليها عُشُّها دَرَجتْ به   فِراخاً نَحيلاتٍ تَهُمُّ فَتَقْعُدُ

يُطالعُها رُوحُ الربيعِ فتَنْتَشي   ويَدْهَمُها قَرُّ الشّتاء فتَجْمُدُ

وتَنْشَقُ أنفاسَ الصبّاحِ نَديةً   فتَنْدى؛ ويَحْدُوها الرّجاءُ فتَسْعَدُ

وظَلّلَها في عشّها الحبُّ حَانياً   عَليها قويّاً مُنعِشاً يتَجدَّدْ

* * *

فَكانَ لها زاداً إذا قَلَّ زَادُها   ورَوحاً وريْحَاناً ولَحناً يُردَّدْ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحّ عليه.

ويَا طالَما غَنّتْ ويا طالما بَكَتْ   سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى

ويا طالَما ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُداهِمٍ   فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتراً(٥)

وكَم ليلةٍ مَرّتْ وكَم أشْرَقَ الضُّحى   وكم أمَّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرتْ شرّاً

دَعيها . بمهدِ الذكرياتِ أمينةً   تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرعةً تَتْرى[6]

دَعيها أجَلْ لا تَعْبَثي بشعورها   ولا تَحْرميها خيرَ ما حَفِظتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ من اللهوِ فاعبثي   بألبابنا لا بالطيورِ الهَوائم!(٧)

وَهَبْتُكَ إحسَاسي فما شئت فاصنعي   أميناً لعهدي مُخْلصاً غيرَ نادم

وقاكِ الجمالُ السَّمْحُ كلَّ مَلامَةٍ   وعَتْبٍ فلا تَخْشَى مَقالةَ لائم(٨)

ولكنّها الأطيارُ تَلْهُو بريئةً   فما بالها تُدْهَى بِفَعْلَةِ ظالم!؟

دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثي بها   فما كان أوْلاهَا بِرَحْمَةِ رَاحِم!

* * *

يوم خريف*

وَقفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكُونٍ   وتَسراءى لِخَاطِري كالحزينِ

وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ   فتبدُو كَباهتاتِ الظُّنُونْ

وكأنَّ الزَّمانَ سَاوَرَه الحُزْنُ   فأغْفى إغفاءةَ المُسْتَكينِ[1]

وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْرُ   فنَاءتْ بَحمْلِ عِبْءِ القُرونِ

وكأنَّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها   وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَاهِماً ليس يَدْري   أينَ يَمْضي؛ وأينَ لَو شَاء يَمْضي

طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا   بَينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ

ثم ماذا؟ تَساءَل الكونُ: ماذَا؟   أحياةٌ ما بينَ غزْلٍ ونَقْضِ

أيّما غايةٍ نَؤمُ إليها   أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضي

تَعَبٌ ضَائِعٌ وجُهْدٌ غَبِينٌ   ومَصيرٌ مُقنَّعٌ ليسَ يُرْضي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمُولُ إليه   فتَرَاخى في سَيْرِه كالبليدِ

وتَمَشى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ   مِشيةَ الدَّاءِ بالأسى والكُنُودِ[2]

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: واثبه

٢- الهمود: السكون.

فإذا الدَّوحُ في وجُومٍ كئيبٍ   وإذا الطيرُ في ذُهُولٍ شَريد

وإذا الزَهْرُ في الرياضِ أسيفٌ   كصغارِ الأيتامِ في يومِ عيد

وإذا بالزمانِ يعطُو كَسيحاً   كأسيرٍ يُساقُ نِضْو القيود

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ، مَرْضى   بَرِمَاتٌ بثقلةِ العُوَّادِ![1]

وترى السُّحب في السماءِ تغشّى   ناظريها كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ

وترى الأرضَ كالكظيمِ منَ الحُزْنِ   ثكُولا تَسَربَلَتْ بالحدادِ

والفَناءُ المريضُ، طَافَ عليها   طائفٌ منْه في ثَنايا الرُّقادِ

كلُّ شَيءٍ يرنُو إلى كلِّ شيءٍ!   كسجينٍ يَرْنُو إلى الجلّادِ

* * *

مَأتَمٌ صَامتٌ يُهوِّمُ فيه   شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقيمِ

ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَياةٌ   كُلُّ شيءٍ في صمته كالسَّقيمِ

والوُجُومُ الذي يُغشّي عليها   كاسِفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجوم!

وخُفُوقُ الأرواحِ أبْطَأَ نَبْضاً   كَخُفُوقِ النُّجومِ خَلْفَ السَّديمِ[2]

أسْبَلَتْ عَينَها الحياةُ سَآما   واسْتَنَامتْ لليأسِ والتسليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.

٢- السديم: الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ   وتنَزّي الداءُ فيه والألم

ودَوَّتْ من فيه تعوي صَرْخَةُ   تَتَلَوّي فيه حتى تَحْتَدِمْ

صَرْخَةُ الجبارِ يَشكو مُرْغَماً   ذِلَّةَ الشّكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ [1]

يَشْتكي العجزَ وما يُولِمهُ   فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تضطرم

يَشْتكي العجزَ الذي أقعدَه   عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يُقْتَحَمْ

تسمعُ القوةَ في صَرْخَتِه   مِن وَراءِ العجزِ تَدْوِي فَتُصِمْ

ويَهمُّ البأسُ في أشلائِه   ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَم

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١- الرَّغم:الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِى صَرْخَتُهُ ؟   أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به   في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه   جَلْجَلاتٌ، وهَزِيمٌ؛ ورُجَمْ [1]

هو ماضٍ ماردٌ مُقْتَحِمٌ   لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه   مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ   أَقَضَّ بِها النُّوَّامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[2]

لذلكم الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ   ولمَّا يَزَلْ لليلِ في الصبْحِ مَدْخَلُ

أَكبَّ على تحطيمِه وانتحاتِه   كَراجٍ له في ذلك الصَّلْد مَأمَلُ[3]

يُطَوِّحُ في عُرْضِ الفَضَاءِ ذِراعَه   ويهوِى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ

ولكنَّها تَلْقَاه صَمَّاءَ لَمْ تَلِنْ   وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ

يَدورُ حَوالَيها لِيُدْرِكَ مَقْتَلاً   وهَيهاتَ في الصُّلدِ الأصمَّاءِ مَقْتَلُ

ويَغْمِزُها غَمْزَ الخبيرِ ويَنْثني   يحاولُ مَا أعياه، لا يَتَحَوَّلُ

وقد جَاشَ في أعضائِه كلُّ نَابضٍ   وسَالَ دَمٌ في صورةِ الماءِ يَهْطِلُ!

وحِينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعدَ طَرْقَةٍ   تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[4]

فَأرخي ذِراعَيْه، وأسْنَدَ جِسْمه   إلى مِعْوَلٍ؛ نَضّاه للكدحِ مِعْوَلُ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٤.

١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)

٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

٣- الصّلد: اللب الأملس الشديد.

٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَسيلُ جُهودٌ أو دِمَاءٌ نَقيةٌ   لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ ويُرْفَعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقيِّ   وليسَ له في ذلك القصرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصارَاه شَرابٌ ولُقْمَةٌ   ومَأمَلُه في ذلك الصَّلْد مأكلُ!

قفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أسودَ كالحٍ   وأفراخُه كُثْرٌ؛ وأنْثَاه مُطْفِلُ[1]

فإن كانَ إكليلٌ فهذا جَبينُه   وإنْ كانَ تمثالٌ فهذا المُمَثَّلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أدْعُوكِ فاخْجَلي   أمامَ بني الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أنثاه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضى إلى مَدَاه البَعيدْ

ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!

يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلِّ هَذَا القَصيدْ

منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نيلُ سَعيدٌ بحُلمكَ المَعْهُودْ

يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاكَ حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ

من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَطُّ ما تَشَاءُ فإنّي   رَغمَ سِحرِ الجمالِ والموجِ رَاحلْ

رَاحلُ حَشْدٌ نفْسُه لفَتَاتٌ   ليْسَ عنْ فتنةِ الجمالِ بغافلْ

قَدْ دَعَتْهُ إلى الرّحيلِ ديارٌ   في صَميمِ الجحيمِ تُدْعي الشَّواغلْ

هي قبرُ الآمالِ والفنِّ والحبْـ   ـبِ وقَيْدٌ عن كلِّ ما شَاقَ شَاغلْ

وهي دَارى التي دَرَجْتُ عليها   وإليها المآبُ مَهْما أُحاولِ !

* * *

أُحْلُ يا شطُّ بالجمالِ طَليقاً   من قُيود الزمانِ نَشْوانَ واهلْ

أَسْكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي   دَفعاتِ الحياةِ في كلِّ نازلْ

فيَرى نفْسَهُ خفيفاً غريراً   قاهراً قادراً يجوزُ الحوائلْ

دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْنَى   من بَريقِ الآمالِ في نفْسِ آملْ

* * *

أُحْلُ ياشطُّ بالعَرائسِ حُوراً   سَابحاتٍ والموجُ ظمآنُ نَاهلْ

كانْفتَالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً   وانثناءِ الغزْلانِ والشطُّ ذَاهلْ

فتنةٌ تَسْكُبُ الحياةُ عليها   سِحْرَها والعيونُ حُورٌ قَواتِلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفْـ   ـسِ ظَماءً مُرَقْرَقا في الدّخَائل

وانطلاقاً من التّزمُّتِ والعُر   فِ وشَوْقاً إلى المباهجِ واغِلْ

أُحْلُ يا شطَّ لن نُطيقَ انفلاتاً   من رَحيلٍ إلى جحيمِ الشَّواغلْ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

على ضفاف الخلودْ وفي شعاب الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

* * *

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حَيٌّ سواكْ تُهدى إليه الضياءْ؟

* * *

رأتْكِ تلك الضّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ[1]
رأتْك قبلَ المطاف وأنتَ طفلٌ غريرْ

* * *

وشبْتَ والدّهرُ شابْ وحنّكَتْك الحياةْ
والنيلُ بادي الشبابْ والزهر يَقْفو خُطاهْ

* * *

يَنْسابُ مثل النّغَمْ في عَزفِ ناي طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضْفِي عليه الغيوبْ

* * *

خريرةُ صِلَواتْ مُعَطّرَاتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مُرتّلاتُ القصيدْ

* * *

يا نيلُ كم من شراعْ يا نيل كم من سَفينْ
أسْلَمْتَها للوَداعْ على مَدارِ السّنينْ

* * *

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البرّ(الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروع وذِي وذِي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكلُّ عَامٍ تعودْ مُجدَّدَ الأيام

* * *

تجري فتجري الحياة ويُمْرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعشّه المعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ ركْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينٌ فيَ موكبٍ للربيع

* * *

قد شمّروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يوم يؤوب
يزُفّه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

من الحقول المّريعة إلى الحمى والدّيار
تضمُّ فيه الطَبيعةُ أبناءَها الأبرارْ

* * *

لُحُونُه من صياحْ ومن رُغاءِ النَّعَمْ(١)
ومن رجيع النُّباحْ ومن ثُغاءِ الغنمْ

* * *

على مَدارِ القرونْ يسيرُ فيه الرُّعاةْ
كأنهم خالدون ما بُدّلُوا في الحياةْ

* * *

أُحبُّ فيك الخلودْ يا أيُّها الوادي
أحب فيك الصمودْ للْقاهرِ العَادَي

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفودْ وأنت يقظانُ ساهرْ
تصوغهم من جديدْ كأنما أنتَ ساحرْ

* * *

يا مَهبطَ الأسرارْ من الغيوب العميقَةْ
يا موطنَ الأسحارْ من القرونَ السحيقةْ

* * *

يَأوي إليك الزمانْ خوف البِلَى والفَناءْ
يأوَي لحصن الأمانْ فيستمدُّ البَقاءْ

* * *

ووجهك الفَتَّانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يَزْدانْ بَزرعك الأخضرْ

* * *

ترنُو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرضُ يا دنياي يا آيَةَ الخالقْ

* * *

يا أرضُ كَم تَحْلُمين بالزهر أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طولَ السنين يا أرضُ ، تلك الأزاهرْ

* * *

وريحك المعروفْ يشمُّه أَنْفي
فيَ خاطرِي مألوف مميز العَرْف

* * *

يا أرض، هذا الصعيدْ مقدسٌ في ضميري
سَرى عليه الجدودْ وأخلدُوا للقبَورِ

* * *

يكادُ فَرْطُ الحنينْ إليهمُ في شُعوري
يردّهم شاخصين إلى خلف الدهوَرِ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفينْ مُغيَّبُ في ثراك
يَرُدُّنا مُوثقين إليكِ أسرَى هواكَ

* * *

هذا الثرى المنثور في صفحة الوادي
عرفته في الضمير رفات أجدادي

* * *

يِا أرض. هذا النشيد من وحيك العبقريّ
فاقْضِي له بالوجود بسرّك القُدُسِيّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

فِي الجوّ رائحةٌ تُوسْوسُ فِي الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خَدرَتْ يُعاوِدُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوقِ المجنَّحِ فِي مَتَاهَاتِ الضَّميرْ
وكأنَّ رائحةَ الحياة تَدَبُّ فِي عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغمات سَاريةً تَرَقْرَقُ فِي الدّمَاءْ
كهُتَاف مشتاق تَولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضَ تَفْتنُه ويَرْنُو فِي ابتهالٍ للسَّمَاءْ!
والصّمتُ يَغْمُرُه وفِي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغِنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَل المُليحة فِي الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَات فِي شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلّع الصُّوفيِّ فِي شوقٍ إلَى ذاتِ الإلَه!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوَالَم تائهات لا تَبِينْ
ويُهَدْهِدُ الأحلامَ والذِّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرِفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥
١- الخرقات : نوع من العصافير.



جمال حزين*

أجَلُّ مـــن الحُـــزْنِ والمَأتَـــمِ   جَمالُـــك. إنْ كُنْتِ لَـــمْ تَعْلَمي!

وَقَـــدْ دار حـــولَ الجبـــين الخمارُ   تَشَعْشَـــعَ°° كالليـــلِ بالأنْجُـــم!

كمـــا أرْسَـــلَ الصبـــحُ لآلاءَهُ   بَريئـــاً مـــن الصّبْغِ كالعَنْـــدم![1]

وفي شَـــفَتَيْكِ الجَنَـــى والرَّحيـــقُ   ولكـــن طَهُـــرْتِ فَلَـــمْ تَأثَمـــي

وكَفُّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَـــفيفُ   ســـوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَم![2]

وفِتْنَـــةُ هـــذا الجَمَـــالِ العَميـــقِ   وطُهْـــرٌ نَمَـــاكِ إلى مَـــرْيَمِ

* * *

هُـــو الحلْمُ بـــينَ ضِفَـــافِ الجنَانِ   يَـــرِفُّ علـــى ثَغْـــرِكِ المُلْهَـــمِ

ويَطْـــرُقُ عَيْنَيْـــكِ في سَـــبْحَةٍ   إلى عَـــالَمٍ شَـــاعِريٍّ ظَمِـــي

تَحجَّـــبَ بـــينَ شِـــعابِ الغُيوبِ   وأومَـــضَ في قلبـــكِ المُفْعَـــمِ

ضَمـــيري يُحِسُّـــكِ أُغْـــرُودةً   علـــى شَـــفَتَيْ خَاطِـــرٍ مُبْهَـــمِ

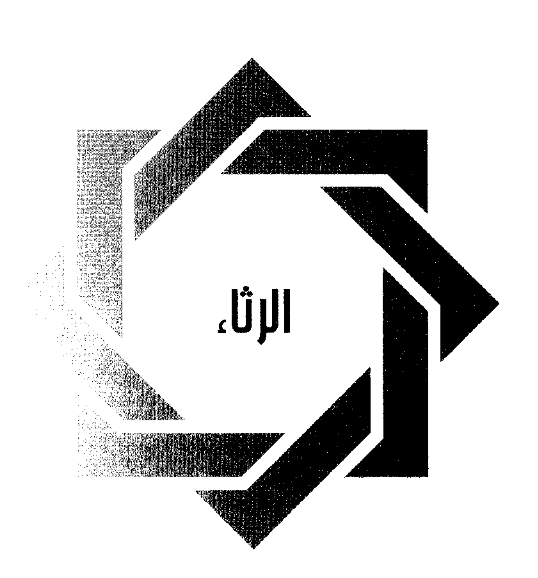
* * *

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١- الغندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢- وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم يرَ منه إلا عيناها، والمراد [illegible] قبلة سريعة خفيفة.



ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبون الدُّعاء

وحي الخلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ   والذِّكْرُ عُمْرٌ لا يَبيدْ

فإذا انتهى أجَلُ العظيمِ   فَذِكْرُه أجلٌ جَديدْ

ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ   آثارُه تُحْيِي الجنودْ

وَمضى شهيداً طاهراً   يا نِعْمَ ذَيَّاكَ الشهيدْ

هو عَلَّمَ الشعبَ الجها   دُ وأيقظَ القومَ الرُّقُودْ

هو كانَ رَوحاً بيننا   يَحيَا فُيُحْيِي مَنْ يُريدْ

هو كانَ كالأملِ المُضي   ء وكانَ كالجدِّ السعيدْ

هو قد حَبَا الأشبالَ مِنْ   عَزَمَاتِه بأسَ الأسودْ

فإذَا مَضَى الأسدُ الهصو   رُ فَخَلْفَه أسَدٌ عَتيدْ

وإذا خَبَا الرأيُ الرَّشيـ   ـدُ فَخَلْفَه رأيٌ رشيدْ

يا سعدُ أدْمنتَ الجُهو   دُ فحسبُنا تلك الجُهودْ

* * *

نَمْ مطمئناً بعدمَا   عَلَّمْتَنا معنى الوجودْ

الشعبُ بعدَكَ لم يَعُدْ   يُثْنِيه وَعدٌ أو وَعيدْ

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشعبُ لا يرضَى القُيوَ   دُ ولم تنلْ منه القُيودْ

الشعبُ نَصَّبَ[75] مصطفا   كَ وكاتمَ السِّرِ الودُودْ

وهو الأمينُ على العهو   دِ فما يخُونَ وما يَحيدْ

يا أيُّها الخَلَفُ العظيـ   ـمُ ويا أخَا الرأي السديدْ

الشعبُ خَلْفَكَ كُتلةٌ   في مَوقفِ الهولِ الشديدْ

أقْدِمْ على الخَصْمِ العنيـ   ـدِ يَحُوطُكَ الجيشُ العتيدْ

مُسْتَلْهِماً وَحْيَ الفقيدِ   فإنه وَحيُ الخُلودْ

إنَّ الحياةَ لِمن صَحَا   ليستْ لِعُشَّاقِ الهجُودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هـــي هذه الذكـــرى لثالـــثِ عامٍ   حَثَّـتْ رَكائبَهـا يـدُ الأيـامِ؟

هي هذه ذكـرى الخُلُـودِ ورَمْزه   وشـعارُه الباقي علـى الأعوامِ

ذكـرى البُطولةِ والزمـانُ يَحفُّها   بجلالِـه فتجـلُّ في الأفهـامِ

جـاءتْ تُحَدِّثُ في جَـلالٍ رَوْعَةً   مَحفُوفـةً بمـرارةِ الآلامِ

بَيْنَـا تُذَكِّـرُ بالحيـاةِ إذا بهـا   تَرْنُـو مُحَدِّثـةً بِطَـرْفٍ دَامِ[1]

مَمزُوجة الألـوانِ تعصِـفُ تارةً   وتعـودُ هَامِسـةً بَوحْـيٍ سَـامِ

هي كالخلـودِ المحضِ غـيرَ محددٍ   وهـي اليقـينُ يَبُـضُّ بالأحلامِ

وهي النفـوسُ حِيالَهـا في رَوْعةٍ   أخّـاذَةٍ مَسـحورةِ الإلْهـامِ

مَشْـدُوهَةً مـا إنْ تَفيـقُ وحولَها   زُمَـرٌ مـن الأشـباحِ والإلهـامِ

مغمورةَ الأطرافِ شَـاعِرَةَ الحَشَا   في غمـزةٍ تَطْغَـى وفيـضٍ طامِ

هي هـذه الذكـرى وذاكَ جَلالُها   تَحْنِـي لِرَوْعتِهـا أعـزَّ الهـامِ

* * *

أمْضَـتْ ثلاثـاً كالقـرومِ طويلةً   سُـودَ المفارقِ جُلِّلَـتْ بقَتَامِ[2]

عَصَفَـتْ بمصرَ الحادثـاتُ كأنّها   كانـتْ مُهيَّـأةً علـى الأقـدامِ

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠.

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

ومَشَـتْ بها هُوجُ الرِّيـاحِ جريئةً   تَجْـري لغايتِهـا بغيـرِ زِمـامِ

وعَلَـتْ بؤوسٌ كـنّ أخفضَ هَامةً   وأذلَّ مـن عـيرٍ بـكلِ مَقـامِ

هم قد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأسـرعُوا   وهـم ارتضَوْا من دَهْرهم بحُطامِ

ودَعَاهُم الوطنُ الكـريمُ فأعْرَضُوا   وتَسـلَّلوا للخَصْـمِ غـيرَ كِرَامِ

هدمُـوا من الدسـتورِ ركناً قائماً   وتعلّلـوا بالـزُّورِ والأوْهَـامِ

وتَصيَّـدُوا للشـعبِ كلَّ مَسـبَّةٍ   كيـدَ العـدوِّ وطعنـةَ الأخْصَامِ

لولا جـلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ   آثامِهـم مُستَبْشَـعَ الآثَـامِ!

* * *

يا سـعدُ والذكرى تُثِيرُ شـجوننَا   وتَهدُّنَـا بالعـزمِ والإقْـدامِ

وتُطِـلُّ روُحُكَ في جَـلالٍ صامتٍ   يُـزْرِي بـكلِّ إشـارةٍ وكلامِ

يا سـعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَـةً   مِنْهـا تقـومُ بواجـبِ الإكْرامِ

وتَـزُفُّ أنفـاسَ النَّسـيمِ رقيقةً   تَسْـرى مـزودةً بـكُلِّ سَـلامِ

يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ   في كلِّ تِمثـالٍ هنـاكَ مُقـامُ!

إنّ الـذي يحـيِي مَشَـاعَرَ أُمَّـةٍ   تحييـه بـالأرْواحِ لا الأجْسَـامِ

* * *

يـا أيُّهـا الثَـاوي وفي تـذكارِه   وَحْـيُ الخلـودِ وآيـةُ الإلْهامِ

اليـومَ تُذْكَـرُ والجَـلالُ مُخيِّمٌ   والصمتُ يبعث شَـاجِيَ الأنغامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغيَّبٌ ... عنا وذكرُك في المشاعرِ نامِ

إنّا فَقَدْنا بافتقادِك طلعةً ... وبَقِيتَ ذكرى خُلِّدَتْ بدوامِ

في كلِّ نَفْسٍ من سَناكَ بقيةٌ ... وبكلِّ رُوحٍ منك فيضُ هامِ[1]

هذا هُو الشعبُ الذي خلّفته ... وسطَ الطريقِ مُيمِّماً لأمامِ

هو لا يزالُ مُجاهِداً كعهوده ... هو لا يزالُ مُؤيِّدَ الأعلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا ... إلاًّ ولم يَسْتَمْسِكوا بذِمامِ

فهم البُغاثُ جليلُهم وحقيرُهم ... وهُم الذِّئابُ تَفَجَّعُ في الإجرامِ[2]

يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ ... أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى ... يقفو خُطاكَ فكانَ أخلصَ حامِ

قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما ... تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباهاً؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألَّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضي بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانَ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَـجِّلي يا أرضُ وارْعَـيْ يا سماءْ   مَصْـرَعَ الجبـارِ بـينَ العُظَماءْ

مَصْـرَعُ الجَشَّـامِ مـا إن يَنْثَنـي   أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]

يقـفُ الهـولُ لديـه خاشـعاً   وهـو يَلْقَى الهولَ بَسّـام الرِّضَاءْ

* * *

نـالَ منه المـوتُ ما لَمْ يستطعْ   نَيْلَـه الغُصّـابُ في سَبْعٍ وِلاءْ

عَذّبُـوه ونَفَـوه ومَضَـوا   في فنـونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَـاءْ!

أرسـلُوه حيثُ وادي المـوتِ إذْ   لا يَـرى الأحياءُ أطيـافَ الرَّجَاءْ

في مَبـاءاتِ تُـدوِّي بَيْنَهـا   جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولِ الوبَاءْ[2]

تَصْفُـرُ الرِّيـحُ بهـا مُعْولـةً   تنـذرُ الأحيـاءَ فيهـا بالفنـاءْ

وأرادُوا والمَنَايـا حَوْلَـه   أن يُذِلُّـوا فيـه تلـك الكِبْرِيَاءْ

فمضَـى يَأْنَـفُ في سُـخْرِيةٍ   عيـشَ ذُلٍّ هُـو والموتُ سَـواءْ

لم يقلْهـا: لَفْظَـةٌ، لـو قالَها   لَقِـيَ النَّعْمـاءَ منهـم والـوَلاءْ

* * *

ليـتَ أهلَ الأرضِ يـدرونَ بما   صنـعَ الغُصَّـابُ بالنفـسِ البَراءْ

أَتُـرى أنْعَتُهـا وَحْشِـيةً   في ظَـلامِ الكهفِ لَمْ تـدرِ الضِّيَاءْ؟

أظْلِـمُ الوحـشَ إذا شَـبَّهتُه   بوحـوشِ الغَـربِ تمتـصُّ الدِّمَاءْ!

١-الجشّام:المتقحّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِـكُ الوحـشُ لِيحيَـا بينما   يَفْتِـكُ الغـربيُّ حُبًّـا في الثَّـرَاءْ!

يا شَـبابَ الشـرقِ هذا موقفٌ   تَقْشَـعِرُّ الأرضُ منـه والسـماءْ

ودمُ المختـارِ مـا زالَ نـديّاً   يسـتحثُّ الخانعـينَ الضُّعفَاءْ[1]

وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليـ   ـومِ يدعُو مَـنْ يجيبـونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشـرقِ والشرقُ إذا   لم تكونُـوا جُنْـدَه ضَـاعَ هَبَـاءْ

لا يـردُّ الحـقَّ قـولٌ فـارغٌ   تَذْهَـبُ الرِّيـحُ به عَصْـفَ الهواءْ

إنّمـا يُجْـدِي جِهَـادٌ عَـارِمٌ   وخِصَـامٌ ونِضَـالٌ وعَنَـاءْ

إنمـا يُجْـدي إذا نَبْعَثُهـا   كهـزيمِ[95] الرعدِ تَـدوي في الفَضَاءْ

إنمـا يُجْـدي إذا مـا أيْقَنُـوا   أننـا كالغَـربِ قـومٌ أقْويـاءْ

* * *

يا شـبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم!   أفأنتـم حيـثُ يُحييكُـم دُعَـاءْ؟

يـا شـباباً نَاعمـاً مُسْـتَأنِثاً   كَذواتِ الخِـدرِ في ظِـلِ الخِبَاءْ![2]

يـا شـباباً تافهـاً مُحْتَقَـراً   تأنـفُ الأجيـالُ منـه في ازدِرَاءْ

يـا شـباباً هَمُّـه لَذّاتُـه   فهـو يَحيـا بـينَ كأسٍ وخَنَـاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يا شباباً قَصُرَتْ آمالُه   كخَشَاشِ الأرضِ مَرمَاه الغِذَاءْ

يا شباباً نُكِبَ النيلُ بِه   فِي الأَمانِي والتَّعلاّتِ الوِضَاءْ

يا شبابَ النيلِ هَلْ أبْصَرْتُمو   فِي فَتى السودانِ كيفَ الشُّهداءْ؟

عُمْرُ الإِيمانِ بالحقِ لَه   مهجةٌ حَرّى فجادتْ بالفِداءْ

يا شبابَ النيلِ هذَا مَثَلٌ   لجلالِ الموتِ فِي ظِلِّ الإِباءْ

ما يقولُ الشِّعْرُ فِي هذَا ومَا   حيلةُ الشِّعرِ؟ وما طَوْقُ الرثاءْ؟

موقفٌ جَلَّ عن الشعرِ فَهَلْ   يُكْمِلُ التاريخُ بَدْءَ الشُّعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأستارُ   فيها. وقبرُك كعبةٌ ومَنَارُ

في كلِّ مطّلعٍ وكلِّ ثَنيةٍ   ذكرى تَزاحَمُ حولَها الأفْكَارُ

باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها   مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ

تتصرَّمُ[٦] الأيامُ وهو مُوطَّدٌ   يعنُوالخصومُ لديه والأنصارُ

وكأنّه عَلَم يُنيفَ على الورَى   ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ

وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى   في ظلِّه الأقزامُ والجبارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من   سعدٍ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ؟

هل كانَ إلاّ في العظائِم مَوْئلاً   في يومِ تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ

تَدْوِي حَواليه الخطوبُ وتَنْثَني   كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإِعْصَارُ

فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ   غمراتُه وتَرَاخَتْ الأخْطَارُ

أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ   راضٍ أشَمَّ كأنّه المِقْدَارُ

رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها   وصروفِها، وتَحُفُّها الأسرارُ

رُوح البطولةِ والبُطولةُ طَلْسَمٌ   كالسحر تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ

أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها   لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثَارُوا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

ماذا أبركانٌ تَفَجَّرَ أم تُرى   موجٌ أشمُّ أحمُّ؟ أمْ تيارُ

سِحر البطولةِ أو شُواظُ لَهيبها   يُذْكِي النفوسَ فكلُّها مِغْوارُ

ذكرى تُقدِّسُها البلادُ كريمةً   وتصوُن رَوْعةَ مَجْدِها وتَغَارُ

هي بعضُ تاريخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ   تاريخَ فردٍ يَنْطوي ويُثَارُ!

ذكرى يَحُفُّ بها الجَلالُ وتَنْزَوي   بِإزائها الأحقادُ والأوزارُ

ذكرى تُطلُّ كأنَها قُدْسِيّةٌ   فالكلُّ تَحتَ ظلالِها أبَرارُ

فلتَعْنُ للذكرى الجباهُ وتَنْحَنِ   الهاماتُ ولتتخشّعُ الأبصارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَجّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ   مَصرعَ النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[١]

سَجّليه بمِدادِ الفخرِ لا   بلْ بفيضٍ من دِمَاءِ الشُّهداءْ

مَصْرعُ الآسادِ في آجَامِها   لا كما تَلْقَى مَنَايَاها الظِّبَاءْ!

سَجّليها رَوعةً قد مُزِجَتْ   من أسَى الحزنِ، ومنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايا المجدِ في مَذْبَحِه   يلتقي اليأسُ عليها والرَّجاءْ!

وهي القُرْبانُ يَفْدِي أُمةً   إيه ما أكرمه هذَا الفِدَاءْ

* * *

دَوْماً والريحُ في مُعْتَرَكٍ   صَاخِبِ الأنواءِ، مشؤومِ العُواءْ

وظَلامٌ في ظَلامٍ مُبْهَمٍ   يَخْشَعُ الهولُ لديه والفَنَاءْ

طَامِسُ الآثارِ مجهولُ الخُطَا   لا دليلَ، لا شُعَاعَ؛ لا ضِياءْ

وهما في جَوْفِه تَحْدُوهُما   همَّةٌ قَعْسَاءُ تأبَى الانْزِوَاءْ

يَلْطُمانِ الريحَ إمّا لَطَمَتْ   ويَروغانِ كأطيافِ الهَواءْ

أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُما حُبُّ العلاَ   وأرَادَها حياةً في السماءْ

قد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ ما   كانَ؛ سُبحانَك تُمْضي ما تَشَاءْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- هذا البيت للمؤلف في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيه يا مِصْرُ عزاءً إنّما أنتِ أولَى بالتحياتِ الوِضَاءْ
قد بذلتِ اليومَ ما تَبْذُله أمةٌ شَاءتْ حياةَ النُّبلاءْ
أمةٌ قَدْ أعلنتْ قِسمتَها من صميم المجدِ بينَ القُسَمَاءْ!
ودمٌ يُهراقُ في تَضحيةٍ سوفَ يَسْري نخوةً بينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدية، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤهَا في العيونِ فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيَا قُرْبَها لَحْظَةٌ في الزَّمَانِ ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالَمٍ صَاخِبٍ إلى عَالَمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمُ الحياةَ هُنا مأتَماً وما إنْ تَنِي جزَعاً تَفْرَقُ[1]
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بأبنائها الكلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفِراشِ كموتِ الفَتى حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرتْ في صِراعِ الرَّدَى فحقٌ لَها كلُّ مَا تَخْنَقُ!

* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨.
١- تني: تضعف.

وتَرْجُـفُ في كلِّ حَـيٍّ إذَا   أصَـابَ سِـواه الـرَّدَى المُزْهِـقُ

أشِـعَّتُها في جميـعِ النفـوسِ   يُرقْرِقُهـا مَصْـدرٌ يَأْلَـقُ

فـإن مَسَّـه مـا يَغُـضُّ الضياءَ   تَذَبْـذَبَ لأَلاؤُهـا المُشْـرِقُ[1]

فيـا دَمْعَـةً رَقْرَقَـتْ في العيون   لأنـتِ الحيـاةُ هَمَـتْ تَدْفُـقُ

يَعِـزُّ على النفـسِ فَقْـدُ الحياةِ   فَتَجْـزَعُ للمـوتِ إذْ يَطْـرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّديـني مِـنَ الرَّجـاءِ الأصيل   مُشْـرِقاً فيـكَ في المُحَيَّـا الجميلِ

أنْـتَ كَنْزٌ من الطَّلاَقَةِ والبِشْـرِ   ودُنْيـا مِـن السَّـنَا المَعْسُـولِ

خفَّـةُ الطَّيْرِ وانطـلاقُ الأماني   بعـضُ مَا فيك وانطلاقُ السُّـيولِ

وَهَـجٌ يُبْهِـرُ النُفُـوسَ ويُزْكي   خَفَقَـاتِ القُلـوبِ عِنـدَ المُثولِ

ذَخَرَتْـكَ الحيـاةُ كَنْـزَ حَيَـاةٍ   ورَصِيـداً لِمَالِهـا المَبْـذُولِ!

* * *

زَوِّديـني لَـكَادَ يَنْفَـدُ زَادي   في صِـرَاعٍ مِـنَ الحيـاةِ طَويـلِ

كادَ يَخْبُـو المصبْـاحُ إلاّ بَصيصاً   فاسْـكُبي الزيتَ في بَقَايـا الفَتيلِ

كُنْـتِ كالجَـذْوَةِ المُشْـعَّةِ نُوراً   وهـي اليـومَ في طَريـقِ الأفُولِ

فيـكِ زَادٌ يَقُوتُنَـا ويَقِينَـا   عَثَـرَاتِ الطريـقِ بـينَ التُّلُـولِ

أنْتِ لا غيرُكِ القَديـرةُ أنْ تُزْكي   حَيَـاةً بِخَاطِـري ومُيولـي

* * *

حينَ ألْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْـرُ نَفْسِـي   بِرَجَـاءٍ مُشَعْشَـعٍ مَوْصُـولِ

وأرَى عِبْئـي الثقيـلَ خَفيفـاً   وأرى نَاهِضـاً بِعِبْئِـي الثَّقيـلِ

وكَأنّي استَشْـعَرْتُ رُوحَ شَبابي   وَرَجَّعْـتُ الزَّمَانَ صَعْـبَ القُفُولِ

فَأعيـدي إلىَّ مَاضِـيَ عُمْـري   واغْمُريـه بالبِشْـرِ والتَّأميـلِ

واطْلُعِـي في قِفَارِ نَفْسِـي حياةً   وإذَا مَا دَجَـى عَالَمي أوَ مِضِي لي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغمضِي عينيك قد آنَ الأوانْ   ودَعيني نهبةً للشجَنِ
وَأمّني دُنياكِ في آتي الزمانِ   ودَعيني لُعبةً للزّمَنِ!

* * *

هذه كفّي وقد مرّتْ عليك   في حَنانٍ وارتياعٍ ووُلُوعِ
لم تَحُسّيها ولم يَنبِضْ لديك   قلبيَ النابضُ من بينِ الضُلوعِ

* * *

هذه الكفُّ التي كمْ دَلّلَتْك   وسَدّتْك اليومَ أطباقَ الثرى[1]
أيَّ حاليْها تُرى أحنَى عليكِ؟   ليتني أدْري. ومن فينا دَرَى؟

* * *

ذلك الصّوتُ الذي تَرْتَقبينَ   قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قد دعاكِ. إنّما لا تَسْمَعينَ   أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.
١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنا يا «نُوسةُ» والعهدُ قريبٌ   مُوحِشُ النفسِ شَجيٌّ للمَغيبِ
مَوْضعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قد خَلا في ذلكَ القلبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   من حَياتي مَوْضِعاً للحَدَبِ
مَا مَضَى من دونِه أو مَا يَليه   غربةٌ تَقْسُو على مُغْتَرِبِ

* * *

إنني أبْكيكِ يا ظلَّ الشبابِ   إنني أبكيكِ يا طيفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالتْ على خيرِ اصطحابِ   لَكِ عَطْفي ولِي الودُّ المكينْ

* * *

لم يكن ودَّ بُطُونٍ وطعامٍ   إنما وُدُّ اصطحابٍ ووَفاءِ
طَالَمَا آثَرْتِ إنْ غِبْتُ الصيامَ   أو تَلُوذينَ بصَمْتٍ وانْزِوَاءِ

* * *

فإذَا عُدتُ فَوَثْبٌ ومُواءٌ   نَاطِقٌ بالشوقِ أو بالفرحِ
وألاعيبٌ وخَمْشٌ والتِوَاءٌ   وتَثَنٍّ نَاطِقٌ بالمَرحِ

* * *

طَالَمَا نَادَيْتِني عَذْبَ النّداءِ   في وَدَاعٍ حينَ أمْضي أو لقَاءْ
في صباحٍ حينَ أصْحو أو مَسَاءٍ   بوثُوقٍ واعتدادٍ وذَكاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْــتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ   لا تطيقــينَ شَــريكاً أو شَــبيهاً

طالما وَطَّــأتِ في حِجْــرِي مَهْدَك   فَعْلَــةُ الطفلــةِ في حُضْــنِ أبيهَا

* * *

كنــتِ لي كلّكِ في هــذي الحياةِ   أيــنَ مَنْ ألقَــاه فيها لَــي كُلُّهُ؟

كُلُّ مَــنْ ألْقَــى لــه فيها هَــوَاهُ   ولــه آمَالــهُ فيهــا وشُــغْلُهُ!

* * *

قــد خَلا حُضْني وكَفّــي وذِرَاعِي   قــد خَلا قَلْبِــي مِنْ هَــذا المتَاع

مُنْــذُ دَعا المــوتُ فأصْغَيْتِ لداعِ   مَــنْ دعَــاه لم يُعقِّــبْ لِــوَدَاع

* * *

أنَــا يا «نُوســةُ» أمْضِــي والليالي   وخَــواءُ المــوتِ يَغْشَــى عَالَمي

رَسْمُكِ الشَّــاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْــمٍ في ضمــيرِ الحَــالِمِ

* * *

وخَيالاتُــك في كلِّ مَــكانٍ   شَــاخِصَاتٍ تتَــراءى للعَيَــانْ

تَصْحَبُ العُمْرَ علــى خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنــتِ وقَــدْ كَانَ وكانْ

* * *

هــذه أنْــتِ إلى حُضْنِــي أويْتِ   هــذه أنــتِ أمامي قَــد رَبَضْتِ

هــذه أنتِ علــى صَــدْري وَثَبْتِ   لهفَ نفســي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُــو الصبــحُ فأيــنَ الوَثَبَاتُ   هــذه كَفّي فأيــنَ اللّمسَــاتُ؟

ها هــو الأكلُ فأيــنَ الهَمْهمَاتُ؟   أينَ أينَ؟ كلُّ ما قَــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيــنَ قِطّاتُــكِ في الحِــرْزِ الأمينِ   مَــنْ دَنَــا منهــا عليــه تَثِبِــيْنْ

غــير أنّــي لِــيَ وَحْــدِي تأمنينَ   وإذَا مُسّــتْ فَبِي تَســتَنْجِدين؟

* * *

سَــكَتَ الصوتُ وقــد كَان غِناءً!   سَــكَتَ الوَثْبُ وقَــدْ كَانَ مَضَاءْ

وامتــلاءُ البيتِ قد أمْسَــى خَواءَ   كلُّ مَــنْ فيه قــد اسْــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هــا هُنا كنتِ؟ أمَــا هذا ضَلالٌ؟   وتَهاويــلُ خمَّــارٍ أو خبَــالْ؟

لم يكــنْ شَــيءٌ ولم يَطْــرأ زوالٌ   كلُّ مَــا كَانَ خيــالٌ في خيــالْ!

* * *

ضَلَّــةٌ للنــاسِ في آمالِهــا   والمَنَايــا رَابِضَــاتٌ بالوَصِيــد

زُمَــرٌ تَمضِــي إلى أَجَالِهــا   والذي يَحيــا يُرَجَّــى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَفَّ الرِّثاءُ بخاطري المَفْجُوعِ   وصَمَتُّ لا أفضي بغيرِ دُمُوعي

إني ذُهلتُ عنِ المُصابِ بوقعِهِ   حيناً، ذُهُولَ الواهمِ المَخْدُوعِ

فَظَلِلتُ أنْصتُ للرجاءِ، وأتَّقي   صوتَ اليقينِ الفاجعِ المَسْمُوعِ

أيَمُوتُ؟ كَلّا! لا يموتُ وهذه   مصرُ تُرجّي نَجْمَه لسطوعِ

أيموتُ والأحداثُ تَهتِفُ باسمِه   أتكونُ تلكَ هُتافةَ التوديعِ؟

قُلْ أيُّها النّاعي سِواه؟ فما أرى   أنّي — وإنْ جاهَدْتَني — بسميعِ!

* * *

واويلتاه! أإنَّها الحقيقةُ جلَّتْ عن الإيجافِ والترويعِ؟[1]

صمَتَ الذي قَدْ كانَ ألْحَنَ حُجَّةً   وتحدَّثَتْ طعناتُه بنَجيعِ[2]

مُتفجِّراتٍ بالدِّماءِ كأنَّها   كلماتُه في قوةٍ ونُصوعِ

كلماتُه اللائي نَبَضْنَ بقَلْبِه   ودِماؤه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١- الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،وجف القلب: خفق،قال تعالى﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- النجيع: دم الجوفز

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياتِه   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بمَريعِ؟

يا مانعَ الوادي العزيزِ بنَفْسِه   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ   وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

لَخَلا مَكانُكَ ليسَ يَملأُ رَحْبَه   إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

لَخَلا مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ   تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغي لِصَوْتِكَ هادِياً   في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ — يا للهولِ — صَمْتَةَ واجمٍ   ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

واهاً لِمِصْرَ ويا فجيعةَ أهْلِها   في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *



تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ

ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمِّمُوا

وهو الجهادُ حَمِيَّةٌ جَسَّامَةٌ

ما إنْ تخافُ من الردَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ علـى الأيـام ألا تُهْزَمُوا   فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدَّمُ

في حيـثُ تَعتبِطُ الدِّمَـاءُ فأيقنُوا   أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]

تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ!   ولقـد أخَذْتُـم بالطريـقِ فيَمِّمُوا

وهـو الجهـادُ حَميَّةٌ جشّـامة   ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجمُ

إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ   فليمضِ طلابُ الخلـودِ ويُقْدِمُوا

وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هديةً   فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذا مُحْجِمُ؟

الشـرقُ يا لَلشِّـرقِ تلك دمَاؤُه   والغربُ يا لَلغـربِ يُضْريه الدَّمُ[2]

الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا   حرماته الكُبْرى وكيـفَ تَهجَّمُوا

غرتُهمُو سِـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا   يـا للذكاءِ! فكيفَ قـد غرَّتْهُمُو؟

سِـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا   فليعلمُوا مَنْ نَحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!

اليـومَ فَلْيَلغُوا الدّمـاءَ وفي غد   فَلْينْدَمُـوا عنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ   مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ

إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً   إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ

مصُـرُ الفتاة ومـا تَـزالُ فَتيةً   تَهفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ

في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنيّـةٍ   نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتُضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ — ويَسيلُ مِنْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ؟
ومن الذي سَامَ النفوسَ مَهانةً — يَأبى ويَأنَفُها الذلولُ الأعْجَمُ؟[1]
مِن كلِّ ما عَوْراء تُكْشَفُ جَهْرَةً — ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَةٍ يَشْتطُّ في تحقيرها — نَذْلٌ حقَيرُ القلبِ لا يَتأَثَّمُ
في أيِّما بلدٍ نعيشُ؟ وأيِّما — عهدٍ يَمرُّ على الكِنَانةِ مُظْلِمُ؟[2]
عهدٌ نُسامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتلى — نِقَماً إذا قُمْنا نَضِجُّ ونَنْقِمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمانُ حجابَها — لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحْشُ يَضْلُ جائعاً ويَعِفُّ عن — فَتَكاتِه إذ ما يَعِبُّ ويَطْعَمُ

* * *

يا أيُّها الرُّفَقاءُ بالحيوانِ لا — تَنْسَوْا أناسيًّا تئِنُّ وتألَمُ
في مِصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً — بينَا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحطَّمُ!
في مِصرَ لا يَلْقَى المسيءُ جَزاءَه — لا بَلْ يُكافأُ دونَه ويُكرَّمُ
في مِصرَ ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من — فُحْشٍ يَعجُّ بها وفُحْشٍ يُكْتَم
في مِصرَ! لو في مِصْرَ بعضُ كرامةٍ — غَضِبَتْ وفارَ على جوانبِها الدَّمُ!

* * *

ماذا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه؟ — لم يبقَ من حُرماتِنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يا للموتِ! أشرفُ شِرْعةٍ — مما نُسامُ به ومما نُوسَمُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّتْ الدُّنيا فماذا تَرْتَقِبْ — مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذي — تركَ الدنيا جميعاً تضطربْ
فارَ ماءُ النيلِ أو صارَ إلى — حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ منْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً — وإذا تصحُو تولَّتْ تَنْتَحِبْ؟
مصر. يا مصرُ. وما يُجْدي البُكا — غضبةٌ يا مصرُ كالليثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجي — في قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذى مِصرُ أم ماذا أرى؟ — أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلِبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً — فإذا الأسْدُ شياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مصرَ تُمطي ظَهْرَها — كذلُولِ النُّوقِ مَنْ شاء رَكِبْ!
المَطايا حينَ تَخْشَى حَتْفَها — تُعطبُ السَّائقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها — لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً — كهزيمِ الرعدِ جَيّاشَ اللَّجُبْ[1]

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ ... أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً ... تتمشى فِيه كالرُّعْبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنا هَجْمَةً مِنْه على ... رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ
سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ ... تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدَبْ
وَوَعاها الدهرُ في آثارِه ... جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرى فاذكُرِي ... ما تولّى وادأبِي خيرَ الدَّأبْ
أرجِعي الكَرّةَ لا هَيّابَةً ... واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَا هُتافٌ ثَمّ في كلِّ مكانْ ... ما دُعاءٌ ثَمّ في كلِّ لسانْ؟
ما نَشيدٌ تسْكُبُ الدنيا به ... أعذبَ الألحانِ في سَمْعِ الزمانْ؟
ما شعورٌ فَاضَ كالوحْيَ هَفَا ... فهفَا الشعرُ على كلِّ جنانْ؟
ما ابتهاجٌ وسُرورٌ ورِضَا ... وانطلاقٌ في التمنّي والأمانْ؟
مِهْرَجانُ العرشِ والشعبِ مَعاً ... عاشَ فاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَال لي الدهرُ – وقَدْ راودتُه ... عَن خَفَاياهُ فأفْشَى وأبانْ:
ليس كاليومِ جَمالاً وسَنَىً ... منذُ ما كان زمانٌ ومكانْ
ليس كاليومِ ابتهاجاً ومُنى ... منذُ ما كانَ ابتداعٌ وافتنانْ
غيرُ يومين وإنّي حَافظٌ ... في سِجلّي كلّ ما كان وبانْ
يومُ ميلادٍ وفي يومِ ارتقى ... عرشَه السّامي فأعلاه وزَانْ
ثم هذا اليومُ يومُ المِهْرَجان ... عاشَ فاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنتَ يا فاروقُ خيرٌ خَالصٌ ... بيتما الخيرُ مشوُبٌ في الزمانْ
من ضميرِ الشعبِ مِنْ يقظتِه ... مِنْ مناهُ مِنْ أغانيه الحِسَانْ
صاغكَ اللهُ سناءً وسنَى ... صَانَك اللهُ وأعطاكَ الأمانْ!!
صَانَكَ اللهُ. فَإِنّا أُمَّةٌ ... تَقْدرُ المُحْسنَ في غير امتنانْ
كلّ يومٍ أنت فيه مِهرجان ... عاش فاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنـت في مصـر قُـوىً كامنـةٌ   منذ كانت مصرُ شـعباً ذا كيانْ

يُسـلِمُ الجيـلُ إلى تابعـه   هـذه القـوةَ تذْكُـو وتُصـانْ

والليـالي مُرهِصَـاتٌ والدُّنـا   تَرْقُـبُ الميـلادَ آنا بعـدَ آنْ[1]

ثم شَـبَّ الشَّـعْبُ في نهضتـه   ناضـجَ الفِكْرَةِ مشـبوبَ الجَنَانْ

فـإذا فـاروقُ في طَلْعَتِـه   تهتفُ البشـرى على كلّ لِسـانْ

ثم كان اليـومُ يـومَ المِهرجـان   عـاش فـاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنـت صِنْـوُ الشـعبِ في تاريخه   كنـتَ منه في الأمانـي يومَ كانْ

قـد تَوَافَى مَولِدُ النهضـةِ والمَولدُ   الضَّاحِـى، فوافت بُشْـرَيانْ[2]

حِكْمـةٌ هَـذا التَّوافـي عَجَـبٌ   شَـاءها الله فجـاءتْ في الأوانْ

ثم وَافي اليـومُ، يـومُ المِهرجـان   عـاشَ فـاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـا صديقَ الشـعْب قُـدْ نهضته   في سـباقِ الكونِ يَظْفَـرْ بالرهانْ

ولـه مِنـك شـبابٌ طَامِـحٌ   يبعـثُ الجَـرأةَ في قَلـبِ الجَبانْ

كلُّ قلـبٍ حـينَ تدعُـو هاتفٌ:   إيـه لبيـك، إلى شَـطِّ الأمـانْ

إيـه لبيـكَ، وفيـه نَشْـوةٌ   وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.

٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـه لبيـكَ، وقـد طَهّـره   حُبُّـك السَّـامي ورَوّاه الحَنَـانْ

كلُّ قلـبٍ خافـقٌ بالمهرجـان   عـاشَ فـاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـعْ النَّغْمـة في قِيثَارتـي   وحيُـك العَذْبُ فجـوَّدتُ البيانْ

وجَـرى الشّـعْر وفي نَكْهَتِـه   من معانيك شـذَى عَرْفَ الجِنَانْ

فأنـا الشَّـادي وفي رُوحي هوىً   عَبْقَـريُّ الوَحي ذَاكِـي الافتنانْ

وأنـا الشـاعرُ آفاقـي سَـمَتْ   فَسَـمَا منِّـى بيـانٌ ومَعَـانْ

وأنـا الغريـدُ يـومَ المِهرجـان   عـاشَ فـاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *



أخي إنْ نمُتْ نَلْقَ أحْبابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفت حَوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلْ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَة والدَّجَل
منْ بَعْد ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْب الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْد الخَنا والارْتِزاق[1]
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجل
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخَافَة والجَهالة والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفان... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْه الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢ صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَلُ: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١– الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ

رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل

هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء

زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء

مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضِّياء وجاء من كَبِد السَّماء

هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَوِيٌّ مُلْهَمُ

هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومُعَلِّمُ

ومن الجهالَة ما قَتَلْ

* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ

رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل

صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدَّقها الغبي

واسْتَنْكَرَ الكَذبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي

لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل

فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل

وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فلكُلِّ طاغية نهايَةْ

وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبَلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ

* * *

أخي*

أخي أنتَ حُرٌّ وراء السُّدود   أخي أنتَ حُرٌّ بتلك القُيودْ

إذا كُنْتَ بالله مُسْتعصماً   فماذا يَضيرُكَ كيدُ العبيد

* * *

أخي سَتبيدُ[26] جُيوشُ الظَّلام   وَيُشْرقُ في الكَوْن فجرٌ جديد

فَأطلِقْ لِرُوحِكَ إشراقَها   تَرى الفَجْرَ يرمُقُنا من بعيد

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليل   وغَدْراً رَماك ذِراعُ كَليل

سَتُبْتَرُ يَوْماً فَصَبْرٌ جميل   ولم يَدْمَ بعدُ عرينُ الأسود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَدَيْكَ الدِّماء   أَبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإماء

سَتَرْفَعُ قُربانَها... للسَّماء   مُخَضَّبَة بوسامِ الخُلود

* * *

أخي هل تُراكَ سَئِمْتَ الكِفاح   وألْقَيْتَ عن كاهِلَيْكَ السِّلاح

فَمَنْ للضَّحايا يواسي... الجِراح   ويرفعُ رايتها مِن جديد

* * *

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخــي هل سمعــت أنــينَ التُّراب   تَــدُكُّ حَصــاهُ جيــوشُ الخَراب
تُمَــزِّقُ أحشــاءه بالحِــراب   وتَصْفَعُــهُ وهــوَ صلــبٌ عنيد

* * *

أخــي إنني اليــومَ صَلــبُ المِراس   أدُكُّ صُخــورَ الجبــال الــرَّواس
غَــداً سأشــيحُ بفــأس الخَلاصِ   رؤوس الأفاعــي إلى أنْ تبيــد

* * *

أخــي إنْ ذَرَفْــتَ علــيَّ الدُّموع   وَبَلَّلْــتَ قَبري بها في خُشــوع
فَأوْقِــدْ لَهُمْ من رُفاتِي الشُّــموع   وســيروا بها نحــو مَجْــدٍ تليد

* * *

أخــي إن نَمُــتْ نَلْــقَ أحبابَنــا   فَرَوْضــاتُ ربيِّ أُعِــدَّت لَنــا
وأطْيارُهــا رَفْرَفَــتْ حَوْلَنــا   فطــوبى لنــا في ديــارِ الخُلــود

* * *

أخــي إنّني مــا سَــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنــا ألقَيْــتُ عني السِّــلاح
وإن طَوَّقَتْــني جُيــوشُ الظَّــلام   فَإنِّــى علــى ثِقَــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنّــي علــى ثِقَــةٍ مِــنْ طريقي   إلى الله رَبِّ السَّــنا والشّــروق
فــإنْ عافَــني السَّــوْقُ أوْ عَقَّــني   فــإني أمــينٌ لعهــدي الوثيــق

* * *

أخــي أخَــذُوكَ علــى إثْرِنــا   وَفَــوْجٌ علــى إثْرِ فــوجٍ جَديد
فــإنْ أنــا مُــتُّ فإنّــي شــهيد   وأنَتْ سَــتَمْضِي بنصــرٍ جديد

* * *

قَــد اختارَنــا الله في دعوتِــه   وإنّــا ســنمضي علــى سُــنَّتِه
فَمِنَّــا الذيــن قَضَــوْا نَحْبَهُــم   ومنّــا الحفيــظُ علــى ذِمَّتِــه

* * *

أخــي فَامْــضِ لا تَلْتَفِــتْ للوراء   طريقُــكَ قــد خَضبَّتْــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِــتْ هَهنــا أو هُنــاك   ولا تَتَطَلَّــعْ لغَــيرِ السَّــماء

* * *

فلســنا بطــيرٍ مَهيــض الجَنَــاح   ولــن نُسْــتَذَكَّ ولن نُسْــتَباح
وإنّــي لأسْــمَعُ صــوتَ الدِّماء   قَويَّــا يُنــادي الكِفَــاحَ الكِفَاح

* * *

سَــأثْأرُ لكــنْ لِــرَبٍّ وديــن   وأمْضــي علــى سُــنَّتي في يَقين
فإمّــا إلى النَّصــرِ فَــوْقَ الأنَــام   وإمَــا إلى الله في الخالِديــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه —فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية —مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا —كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء —كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة —وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي — أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم — في رأيه — ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ٣/١١/١٩٤٨ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب — في قوة التعبير

وحيويته — ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، و لم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ – مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ – الشاطئ المجهول (شعر)

٣ – نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ – التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس